

مأساة زینب

علی احمد کبیر





مأساة زینب

تأليف

علي أحمد باكثير

الطبعة

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

(أشخاص المسرحية)

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

فرديه	: الجنرال فرديه نائب القائد العام .
بلانش	: زوجته .
زينب	:
محيى الدين	: ابن عم زينب وحبيبها .
حافظ	: أعمى من فلول أتباع الشيخ سليمان الجوسقى .
مينو	: الجنرال مينو . قومندان القاهرة ثم القائد العام .
جاكلين	: امرأتان فرنسيتان .
فرانسواز	:
زبيدة	: زوجة الجنرال مينو .
الرشيدى	: على الرشيدى أخو زبيدة من الأم .
على	: أعمى من فلول أتباع الشيخ الجوسقى .
فريان	: الجنرال فريان . قائد فرنسى .
عبد	: أحد عمال البناء .
كليير	: الجنرال كليير . القائد العام .
البشتيلى	: الحاج مصطفى البشتيلى .

- داماس : الجنرال داماس من كبار القواد .
سليمان : سليمان الحلبي قاتل كليبر .
رينيه : من كبار القواد .
لأنوس :
ردستون : تاجر في رشيد . جاسوس إنجليزي .
أم زينب : والدة زينب .
لطيفة : جارية أم زينب .
أم داود : أرملة الشيخ الجوسقي .
هتشنسون : الجنرال هتشنسون قائد القوات الإنجليزية .
الضابط : ضابط إنجليزي مرافق هتشنسون .
نصوح : نصوح باشا قائد عثماني .
الطنبورجي : عثمان الطنبورجي من أمراء المماليك .
خليل : الشيخ خليل البكري والد زينب .
كريت : السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد .
عبد العال أغا : جلاد .
جنود — حرس — جموع من عامة الشعب .

الفصل الأول

في مقر القيادة العامة « بيت الألفى بك » بهو كبير
في الحرم ملك يتصل برواق واسع يحيط بالبيت كله من
جميع جوانبه .

في صدر المسرح باب مفتوح بين البهو والرواق
يكشف جانبا من داخل البهو . يظهر في الجانب
الأيسر من المسرح جزء من الممر الموصل إلى
السلامك حيث يمكث القائد العام .

الوقت : ضحى يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠
(يرفع الستار عن الجنرال فردييه نائب القائد
العام وزوجته بلانش وعندهما زينب وهم يجلسون في
جانب من الرواق) .

بلانش	: (تنهض) انتظري يا زينب سآتي بقطرة لعينيك .
زينب	: (تمسكها لتجلسها) كلا لا داعى لذلك .
بلانش	: عيناك محمرتان .
فردييه	: أجل دعها يا زينب تعالج عينيك . لا تخافى .. لأنها أصبحت خبيرة في أمراض العيون من كثرة ما عالجت في

- المستشفى تحت إشراف الدكتور ديجنت .
- زينب : أعرف ذلك ولكن ليس بعينى شيء .
- بلانش : وهذه الحمرة ؟
- زينب : لم أستطع أن أنام البارحة من القلق . هذا كل ما هناك .
- فرديه : ما هذا يا عزيزتى بلانش ؟ أبعد هذا المران الطويل كله
- لا تقدرين أن تميزى بين حمرة السهر وحمرة الرمد .
- بلانش : يا عزيزى لا تخلط الجذ والهزل . أنا لست طيبة . أنا
- ممرضة .
- فرديه : معذرة يا عزيزتى بيانكا . لكن فيم يا زينب كل هذا
- القلق ؟ هل حدث بينك وبين أبيك شجار جديد ؟
- زينب : لا يا جنرال فرديه .
- بلانش : بينك وبين أمك ؟
- زينب : لا .. ما عدت أقلق لمثل هذه الأمور .
- فرديه : من جراء هذه الحرب ؟
- زينب : نعم .
- فرديه : هونى عليك . إنها شر لا بد منه . وعلينا أن نواجهها
- راضين أو كارهين .
- زينب : أنا أخشى من الأتراك والمماليك أن يحكمونا مرة
- أخرى .
- فرديه : اطمئنى . أنا واثق أن الجنرال كليبر سيهزمهم اليوم هزيمة
- منكرة .

- زينب : حتى في هذه الحالة أخشى أن يرجع كليبر عن رأيه في الجلاء بعد ذلك .
- فرديه : كليبر يرجع عن رأيه في الجلاء ؟ هذا مستحيل .
- زينب : ربما يتغلب رأى الجنرال مينو وأنصاره في الجيش .
- فرديه : كلا .. مينو وأنصاره أضعف من ذلك .
- بلانش : هل لي أن أنصحك يا زينب من قلب مخلص ؟
- زينب : نعم .
- بلانش : ولا تغضبيني مني ؟
- زينب : لا .
- بلانش : تزوجى محيى الدين ابن عمك . لا ينبغي أن تعيشى هكذا وحيدة .
- زينب : مدام فرديه .. ما صلة هذا الكلام بما نحن فيه ؟
- بلانش : الوحدة يا حبيبتي هي التي تثير هذا القلق فيك .
- زينب : هو الذى أوعز إليك ؟
- بلانش : لا وحياة العذراء . ولكنى أعلم أنك تحبينه وهو يحبك .
- زينب : (فى صرامة) مدام فرديه إن كنت تحبينى حقاً فاتركى هذا الحديث فإنه يؤلمنى .
- بلانش : صدقيني .. أنا ما قلت هذا إلا لأنى أحبك .
- زينب : أعلم ذلك ، ولكنه أمر لا سبيل إليه الآن فأنا مشغولة بما هو أهم .
- فرديه : (ينظر أمامه) ها هو ذا محيى الدين قد أقبل .

(يدخل محيى الدين فيرحب به فرديه ومدام فرديه) .

محيى الدين : الحمد لله إذ ليس عندكم أحد .

زينب : عندك أخبار ؟

محيى الدين : هامة جدا .

زينب : خير ؟

محيى الدين : تعال يا حافظ .

(يدخل حافظ الأعمى من فلول أتباع الجوسقى) .

زينب : قص علينا ما عندك . من أين جئت أولا ؟

حافظ : من إقليم المنصورة . الناس فى هياج شديد لأن

الفرنسيين عادوا إلى حصونهم بعد ما تركوها . وتواجد

الأتراك من جنود الصدر الأعظم فدعوا الناس إلى الجهاد

فامتنع أنصارنا واستجاب الباقون ووقعت بينهم وبين

الفرنسيين اشتباكات دامية .

زينب : لقد أحسن أنصارنا صنعا إذ لم ينخدعوا بدعوى الأتراك

الزائفة . نبه من تلقى من أصحابنا إلى ذلك .

حافظ : سمعا وطاعة . (ينصرف) .

(ينظر فرديه وبلانش إليه متعجبين من اهتدائه إلى

الطريق وهو أعمى حتى يغيب) .

فرديه : هذا من أتباع الشيخ الجوسقى ؟

محيى الدين : نعم .

- فرديه : الشيخ الأعمى الذى لطم بونابرت ؟
- محيى الدين : نعم .
- بلانش : غير معقول .
- فرديه : سمعت ذلك من بونابرت نفسه . قال لى إنها اللطمة الوحيدة التى ذاقها فى حياته . كان شديد الإعجاب به ويقول عنه إنه ما رأى فى حياته مثله .
- فرديه : الواقع أنه يستحق الإعجاب ، فمشروع جيش الشعب الذى كان يسعى لإنشائه يدل على صدق رؤيته وبعد غوره فى السياسة .
- بلانش : فيم إذن قتله بونابرت ؟
- فرديه : لأنه كان خطرا علينا إذ ذاك ، أما اليوم بعدما أدر كنا ألا مناص لنا من الجلاء عن هذه البلاد فمن مصلحتنا أن نشجع هذا المشروع ولو فى السر .
- زينب : لكن الجنرال كليبر ما زال مترددا فى تأييد هذا المشروع .
- فرديه : لأن معاهدة العريش كانت تلزمه بتسليم البلاد إلى الأتراك .
- زينب : واليوم وقد نقضوا المعاهدة ؟
- فرديه : فسيكون له موقف آخر لا شك . المهم أن نتصر اليوم على العدو .
- زينب : المهم عندنا يا جنرال فرديه أن نعلم ماذا أنتم فاعلون بعد الانتصار ؟

- فرديه : ماذا تعنين يا زينب ؟
زينب : أتعاونون حينئذ معنا على الجلاء . أم تتعاونون معهم ؟
فرديه : كلا لن نتعاون معهم أبدا إلا إذا اضطررنا إلى ذلك ،
لحاجتنا إلى السفن التى تحملنا إلى بلادنا .
زينب : هذه هى العقدة .
فرديه : عقدة لا حل لها إلا إذا تغيرت الظروف فى أوربا
واستطاع بونابرت أن يسعفنا بالسفن من عنده .
بلانش : لا تعتمدوا على بونابرت ، فقد صدق الجنرال كليبر إذ
قال عنه إنه شغل عنا بالسعى لبناء مجده الشخصى
هناك .
فرديه : ماذا ترين فيه يا زينب ؟
زينب : لا تسألونى . لم يبق له عندى اليوم من وجود .
محبى الدين : لقد صدقت يا جنرال فرديه . المهم اليوم أن تنتصروا
على جيش الترك ثم تنظر بعد ذلك فيما يكون .
فرديه : أليس كذلك ؟ اطعنى يا زينب فلن يقع بعد ذلك
إلا كل خير .
محبى الدين : ما رأيك يا جنرال فرديه فى السيد على الرشيدى ؟
فرديه : صهر الجنرال مينو ؟
محبى الدين : نعم .
زينب : السخيف الذى يغالبنى كلما رآنى .
فرديه : هذا من محاسيب مينو وجواسيسه . يعتقد أن مينو أحق

- بالقيادة العامة من كليبر . لكن لماذا تسألني عنه ؟
- محيى الدين : لأنى رأيت منه اليوم ما رايتى .
- فرديه : ماذا تعنى ؟
- محيى الدين : رأيتك يتصل بأثراك خان الخليلي ويتهامس معهم ، ومعه رجل أشقر علمت فيما بعد أنه تاجر إنجليزى فى رشيد .
- فرديه : تاجر إنجليزى ؟
- زينب : هل تأكدت من ذلك ؟
- محيى الدين : نعم . اسمه ردستون .
- فرديه : وما الذى رايتك منهم ؟ لعلهم كانوا أصدقاء .
- محيى الدين : رأيتهم يتلفتون حولهم ويتهامسون كأنهم يدبرون أمرا .
- بلانش : (مداعبة) إياك يا سيد محيى الدين أن تقول هذا بدافع الغيرة .
- فرديه : لأنه يناقشك فى حب زينب .
- محيى الدين : كلاً يجب أن تعلمنا أننى لا أغار على زينب من أحد .
- الاثنان : ماذا تقول ؟
- زينب : لقد صدق فيما قال . لأنى لو أردت أن أتزوج أحدا ما تزوجت غيره أبدا .
- بلانش : معذرة يا سيد محيى الدين إنما كنت أداعبك .
- فرديه : أجل ، ولو سمعت ماذا قالت عنك اليوم قبل حضورك لاستحقت منك هدية معتبرة .
- محيى الدين : لا نشك فى حبكم لنا يا آل فرديه وحنانكم علينا ،

- ونحن نعتبركم كأئكم
- (ينهض) ائذنوا الى الآن .
- فرديه : الى أين ؟ الى خان الخليلي ؟
- محيى الدين : (ضاحكا) الى خان الخليلي وغيره .
- فرديه : لا تنقطع عنا كثيرا يا محيى .
- محيى الدين : سوف أعود فى الحال . (يخرج) .
- (يدخل الجنرال مينو فيتبادل معهم التحية) .
- مينو : يسرنى أن أراك هنا يا مدام بونابرت .
- زينب : يا جنرال مينو أنا لست مدام بونابرت ..
- مينو : مدام محيى الدين ؟
- زينب : زينب البكرى .
- مينو : إن كان السيد محيى الدين لا ينوى أن يتزوجك ، فاسمحي لى أن أرشح لك صهرى العزيز السيد على الرشيدى .
- زينب : يا جنرال مينو أنا مخطوبة لمحيى الدين ابن عمى .
- مينو : كان هذا قبل أن يتزوجك بونابرت .
- زينب : وما زلت حتى اليوم .
- مينو : لم لا تتزوجان إذن حتى تريحاني من على الرشيدى وإلحاحه علىّ (يتضحك) .
- فرديه : (ليغير موضوع الحديث) سيدى القومندان كيف حال الأمن فى العاصمة ؟

- مينو : على أحسن ما يرام .. مستتب في كل مكان .
- فرديه : تذكر أننا ألمان فقط في العاصمة .
- مينو : إن كنت تخشى من ثورة الأهالي فاطمئن ، فإن رجالى ساهرون يقظون .
- فرديه : ونحان الخليلي هل لك دورية فيه ؟
- مينو : ولماذا نحان الخليلي بالذات ؟
- فرديه : لأن فيه جماعة كبيرة من الأتراك .
- مينو : هؤلاء استوطنوا البلد من قديم ، فلا خوف منهم .
- فرديه : ربما يتجسسون لبنى جنسهم .
- مينو : أوه هذا بعيد .
- (يدخل جندي فرنسي فيؤدي التحية العسكرية) .
- فرديه : أنت من عند الجنرال زاويتشك ؟
- الجندي : نعم يا سيدى الجنرال .
- فرديه : هيه كيف الحال عندكم في الجيزة ؟
- الجندي : على ما يرام يا سيدى الجنرال .. هل من نبأ جديد عن المعركة ؟
- فرديه : نعم نبأ ثان يؤكد النبأ الأول . إن جيشنا بمربعاته ما زال هو المسيطر على الميدان ، وإنه يزحف رويدا رويدا للاشتباك مع العدو .
- الجندي : (يتيمأ للانصراف) هل من رسالة أخرى أبلغها للجنرال زاويتشك .

- فرديه : قل له إني أشكره على يقظته وحسن معاونته .
(يخرج الجندى) .
- مينو : أراك متفائلا يا جنرال فرديه أكثر مما ينبغي ..
- فرديه : ما أشك أن الجنرال كليبر سيلقن هؤلاء الأتراك درسا قاسيا اليوم .
- مينو : ربما يهزمهم في النهاية لسوء قيادتهم وقلة نظامهم ، ولكنهم سيكبدوننا لا شك خسائر جسيمة .
- فرديه : لا بد للنصر من ثمن .
- مينو : ما كان أغنانا عن دفع هذا الثمن .
- فرديه : كيف ؟
- مينو : لو كنا رفضنا معاهدة العريش الخاسرة .
- فرديه : أوه ! ما زلت تحمل على معاهدة العريش . تلك معاهدة قد عقدت ثم نقضت وانقضت أمرها .
- مينو : لكننا ما زلنا نعيش في عقابيلها .
- فرديه : التبعة ليست علينا بل على من نقضوها .
- مينو : بل التبعة على من فرضها علينا فرضا .
- فرديه : كلا ما فرضها علينا أحد . لقد كان الجيش كله يؤيدها ويراهنا سبيلا إلى الخلاص .
- مينو : أنا عارضت كليبر فيها وحذرت من عواقبها .
- فرديه : أنت كنت تعارض فكرة الجلاء على الإطلاق .
- مينو : أجل .. كيف نترك مستعمرتنا الجميلة هذه بغير

مقابل ؟

فرديه : بل مقابل رجوعنا بشرفنا وكرامتنا وعتادنا وأسلحتنا إلى
وطننا المحبوب .

مينو : فهل عدتم إلى وطنكم المحبوب أم خدعوكم فأخذوكم على
غرة ؟

فرديه : هذا ليس ذنبنا بل ذنب الإنجليز الذين نقضوا المعاهدة .
مينو : لقد كنت أعلم أنهم سينقضونها .

فرديه : كنت تعلم ؟ من أين ؟

مينو : (في ارتباك) أعنى كنت أتوقع ذلك .

فرديه : منذا جعلك تتوقع ذلك ؟

مينو : السير سيدنى سميث .

فرديه : ما كنت في المفاوضات فأين اتصلت به ؟

مينو : أنا لم أتصل به ولا أعرفه .

فرديه : عن طريق وسيط .. من كان الوسيط ؟

مينو : (صائحا في حدة) ما هذا يا جنرال فرديه ؟ أتريد أن

تتهمنى ؟

فرديه : معاذ الله .

مينو : إنك استدرجتني حتى جعلتني على صلة بالسير
سيدنى سميث .

فرديه : أنت الذى ذكرت اسمه . أنسيت ؟

مينو : ذكرت اسمه لأقول إنه وهو الذى كان متحمسا لعقدها

لم يوقع عليها ، ولذلك توقعت أنهم سينقضونها .

فرديهه : معذرة لقد أخطأت فهم ما تريد .

مينو : والآن فهمت ؟

فرديهه : نعم .

(تدخل جاكليين وفرانسواز فتبادلان التحية مع الحاضرين) .

جاكليين : استوحشنا وحدنا في البيت، فجئنا نسأل عن الأخبار .

فرديهه : اطمئنا ، الأخبار طيبة .

مينو : بلغنى أنكما تتناوبان في خدمة الجنرال كليبر .

فرانسواز : نعم .. يوم على ويوم على جاكليين .

مينو : يا له من رجل محظوظ .

جاكليين : يجب أن تعلم يا جنرال مينو أننا متزوجتان .

مينو : أعلم ذلك وأعلم أنكما تخدمانه لأنه غير متزوج .

جاكليين : بل لأنه القائد العام يا جنرال مينو .

فرانسواز : وخدمة القائد العام تعتبر خدمة للدولة .

مينو : نعم . نعم . هذا ما أردت أن أقوله . لكى يتفرغ القائد

العام لمهام منصبه .

جاكليين : الواقع أننا جئنا لنطمئن على زوجينا أيضا لأنهما يقاتلان الآن في الميدان .

مينو : اطمئنا فسيعود الثلاثة بإذن الله سالمين .

(يتضحك الحاضرون) .

- جاكلين : إنك لتحسن النكتة يا جنرال مينو مع أنهم قالوا إنك أسلمت .
- مينو : ومن قال لكما إن الإسلام يمنع النكتة ؟
- فرانسواز : هل حقا أنك ما أسلمت إلا من أجل الحب ؟
- مينو : ما رأيكما ؟ ألا يستحق الحب ذلك منى ؟
- جاكلين : فى رأى أنه يستحق ذلك .
- فرانسواز : وفى رأى أنه يستحق أكثر من ذلك .
- (يتضحكون) .
- صوت : (من الخارج) مدام فردييه .
- بلانش : هذا صوت السيدة زبيدة (تطلق لاستقبالها وتخرج) .
- مينو : ادخلى يا زبيدة .
- (تعود بلانش ومعها زبيدة وعليها الملاءة والبرقع) .
- زبيدة : بونجور يا جنرال فردييه .
- فردييه : بونجور يا مدام مينو . . تفضلى .
- بلانش : سنجلس نحن النساء على حدة (تتحى بزبيدة جانبا فى الرواق) زينب . جاكلين . فرانسواز . تعالين .
- فرانسواز : (تتمم) وعلام هذه التفرقة ؟
- جاكلين : اسكتى . هذه العادة عندهم .
- (تنضم زينب وجاكلين وفرانسواز إلى بلانش وزبيدة) .

- مينو : هذا الحجاب ما أسخفه ! لم أستطع أن أقنعها بتركه .
 فردييه : معذرة . لا يمكن أن تتركه إلا إذا تحدثت الناس جميعا كما فعلت زينب .
- مينو : كان بونابرت يقول إن هذا الحجاب ليس من الإسلام في شيء .
 فردييه : يا جنرال مينو . نصدق شيوخ الأزهر أم نصدق بونابرت ؟
- مينو : سمعت أن بعض شيوخ الأزهر وافقوه على رأيه .
 فردييه : دعنا من هذا نحن الآن وحدنا قدعنا نلعب الشطرنج .
 (يسحب صندوق الشطرنج) .
- مينو : لا مانع . أنا كليبر وأنت الصدر الأعظم .
 فردييه : كلا أنت الصدر الأعظم وأنا كليبر .
- مينو : لماذا ؟
 فردييه : لأنى لا أريد أن يهزم كليبر .
- مينو : أتظننى لا أجيد اللعب ؟
 فردييه : بل أخشى أن تهزم لى .
- مينو : عمدا ؟
 فردييه : نعم .
- مينو : (غاضبا) إنك تهمنى .
 فردييه : (مستدركا) مجاملة لى .
- مينو : (يعود إلى الرضا) أنا لا أجامل فى اللعب . ثيباً الآن ..

- احم صاحبك من الهزيمة .
(يلعبان الشطرنج) .
(يدخل على الرشيدى ، فيتلفت حوله) .
- الرشيدى : تلعبان الشطرنج . لا ينبغي أن أقطع عليكما اللعب .
سأنضم إلى تلك الحلقة التى لا تلعب (ينضم إلى حلقة النساء) .
(تتركز الإضاءة على الجانب الذى فيه النسوة) .
- فرانسواز : أنت يا هذا تقعد هناك مع الرجال .
بلانش : دعيه يا فرانسواز .
فرانسواز : إذن فلماذا قمنا من هناك ؟
بلانش : هذا أخو السيدة زبيدة .
جاكلين : أخوها ؟ غير معقول .
زبيدة : نعم .. هذا أخى .. السيد الرشيدى .
جاكلين : ليس بينكما أى شبه .
زبيدة : هو أخى من جهة الأم .
- فرانسواز : أخوك أنت وحدك ، فما الذى خلطه بنا ؟
بلانش : نحن غير متحجبات يا فرانسواز . هى وحدها المتحجبة
وهذا أخوها لا تحتجب عنه أفهمت ؟
فرانسواز : الآن فهمت .
- زينب : كان ينبغي عليه مع ذلك أن يجلس مع الرجال هناك .
الرشيدى : فيم هذا الصدود يا زينب ؟ أنا ما جئت هنا إلا من أجلك

أنت .

زينب : عليك أن تعلم أن هذا مقر القيادة العامة ولا يصلح لمغازلاتك .

الرشيدى : انتهزت هذه الفرصة لأتقدم لخطبتك فى حضور الجنرال مينو وصهرى وزبيدة أختى .

زينب : ما هكذا تكون خطبة النساء المحترمات .

الرشيدى : أنت خلعت الحجاب وصرت مثل النساء الفرنسيات .

زينب : حتى النساء الفرنسيات لا يقبلن هذه الطريقة .

الرشيدى : أتجالسين الرجال وتحادثينهم وترفضين مجالستى أنا من دونهم ؟

زينب : أنا لا أجالس إلا الرجال المهذبين .

الرشيدى : لقد أردت أن أخطبك من نفسك على عادة الفرنسيين إكراما لك ، فأما إذ رفضت فلا أخطبك من أببك على عادة أولاد العرب .

زينب : أنا ولىة أمرى إن كنت لا تعلم .

الرشيدى : وأبوك أليس له سلطان عليك ؟

زينب : لو كان له سلطان علىّ لما استطعت أن ترائى الآن .

(يظهر رجل أعمى من فلول أتباع الجوسقى) .

الأعمى : معذرة يا أهل المكان .. السيد محبى الدين موجود عندكم ؟

زينب : (تنهض إليه) شيخ على .

- الأعمى : سيدتى زينب !
زينب : محبى الدين خرج وسيعود ، هل عندك من أخبار .
الأعمى : نعم يا سيدتى . انهزم الأتراك فى المطرية وفر قائدهم
ناصف باشا ، وقبله فرّ قائدهم الآخر نصوح باشا .
الجميع : (يهتفون فرحا ما عدا مينو وعلى الرشيدى وزبيدة) :
برافو .
مينو : والصدر الأعظم يوسف باشا ماذا فعل ؟
زينب : أجبه يا شيخ على . هذا الجنرال مينو يسألك ؟
الأعمى : الصدر الأعظم لم اسمع عنه شيئا . هل لى أن أنصرف
يا سيدتى ؟
زينب : إذا شئت .. مع السلامة .
(يخرج الأعمى) .
مينو : أتصدقون هذا الأعمى ؟
فرديه : هؤلاء من أتباع الجوسقى لا تكذب أخبارهم أبدا .
مينو : هل شهدت المعركة ؟
فرديه : عندهم طريقتهم الخاصة فى نقل الأخبار من واحد إلى
واحد على التتابع .
(يدخل جندى فرنسى فيؤدى التحية العسكرية
للجنرالين) .
فرديه : ماذا وراءك ؟
الجنرال : حدث خطير يا سيدى الجنرال . القائد التركى نصوح

باشا دخل العاصمة في جماعة من الفرسان وزعموا أنهم
هزموا الفرنسيين ، وأخذوا يحرضون الناس علينا نحن
المرابطين في العاصمة .

فرديه : انطلق إلى الجيزة وأخبر الجنرال زايوتشك ليكون على
استعداد .

الجنرال : سمع يا سيدى الجنرال . (ينطلق خارجا) .

مينو : أسمعتم ؟ كيف تصدقون ذلك الأعمى .

فرديه : سيدى القومندان هذا النبأ الأخير يقتضى أن تنطلق إلى
المحافظة لتوجه رجالك إلى ما يجب عليهم أن يعملوه .

مينو : أنا تركت وكيلى برتلمى هناك .

فرديه : برتلمى ليس هو القائد القومندان .

مينو : صدقت .. أنا القومندان . زبيدة يا عزيزتى عندك

أخوك . يا سيد على اعتن بأختك (يخرج) .

(ينتحى على الرشيدى زبيدة جانبا ويتجمع الباكون
في جانب) .

فرديه : (يقترب من زينب) ماذا ترين يا زينب ؟ أى الخبرين
نصدق ؟

زينب : لا تعارض بينهما . لعلهم دخلوا القاهرة بعدما انهزموا
في المعركة .

فرديه : حقا هذا محتمل . (يتحرك ليخرج) .

بلانش : إلى أين يا عزيزى ؟

- فردنيه : سآمر رجالى بتحصين المكان وإقامة المتاريس حوله
والاستعداد للدفاع (يخرج)
(تغيب بلانش لحظة فى البهو ثم تعود بحقيبة كبيرة) .
- فرانسواز : ماذا فى هذه الحقيبة ؟
بلانش : حقيبة المستشفى فيها الأدوية والضمادات والأربطة .
فرانسواز : (فى زعر) للجرحى والمصابين ؟
بلانش : لا تخافى .. على سبيل الاحتياط فقط .
فرانسواز : لو بقينا فى البيت يا جاكلين لكان أسلم .
جاكلين : أنت لا تفهمين . هنا آمن .
- (يتركز الضوء على الجانب الذى فيه زبيدة وأخوها)
الرشيدى : اسمعى كلامى .. ودعبنى أوصلك إلى بيتك .
زبيدة : إنهم يقولون هنا آمن . ألم تسمع ؟
الرشيدى : هنا آمن لهم هم ولكن ليس آمن لنا .
زبيدة : لماذا ؟
الرشيدى : نصوح باشا لن يمسننا بسوء .
زبيدة : ما يدريك ؟
الرشيدى : أنا على اتفاق معه .
زبيدة : (مستكورة) على اتفاق معه ؟
الرشيدى : صه . هيا بنا ننصرف . لا تدعهم يرتابون بنا .
زبيدة : لكن ..
الرشيدى : (يأخذ بيدها) لا تترددى . (يتهيآن للخروج) .

- بلانش : إلى أين ما مدام مينو ؟
 الرشيدى : سأوصلها إلى بيتها .
 بلانش : لكن هنا آمن لها .
 الرشيدى : أمر الجنرال مينو لا نستطيع أن نخالفه (يخرجان)
 (يعود الجنرال فردييه) .
 فردييه : أين السيدة زبيدة وأخوها ؟
 بلانش : انصرفا الساعة .
 فردييه : (يقترب من بلانش وزينب) فى نفسى من هذا
 الرشيدى شىء .
 بلانش : من أثر ما قاله السيد محبى الدين ؟
 فردييه : نعم . من يدري ؟
 زينب : ترى أين محبى الدين الآن ؟
 محبى الدين : (يظهر من عطفة الرواق يلهث كأنما فرغ من جرى
 طويل) هأنذا يا زينب بين يديك .
 زينب : (تراع ولكن تتجلد) أين كنت ؟ هل سمعت بخبر
 نصوح باشا ؟ الله . ماذا برأسك ماذا أصابك ؟
 محبى الدين : لا شىء .. جرح بسيط .
 بلانش : (تسرع إلى حقيبتها فتسولى تضميد الجرح) أرنى
 يا سيدى .
 محبى الدين : سيدى الجنرال مرهم بالاستعداد للدفاع عن القيادة
 العامة .

- فرديه : قد فعلت .
- محيى الدين : أحسنت .
- فرديه : ما الخبر ما محيى الدين ؟
- محيى الدين : الثورة في كل مكان . جموع كبيرة من العامة يتنادون بالجهاد في سبيل الله .
- زينب : بل في سبيل الشيطان . خدعهم نصوح باشا باسم الدين والدين منه براء .
- فرديه : لكن كيف بدأت ؟
- محيى الدين : بدأت في خان الخليلي من الأتراك والمغاربة الذين هناك ، وكنت عند باب الأزهر أحذر الناس من الانخداع بأضاليل نصوح باشا وجماعته من الأتراك والمماليك . وبدأ الناس يصغون إليّ لولا أن أقبل الجنرال يعقوب بفيلقه لا أدري كيف انشقت عنهم الأرض فأخذوا يهاجمون المسلمين ويستفزونهم في الأحياء المجاورة ، كلما فرغوا من حي انتقلوا إلى حي آخر . فصاح الناس في وجهي . النصارى يقتلون في المسلمين وأنت تمنعنا من الجهاد .. لنقتلك يا كافر . وأخذوا يرمونني بالحجارة فأدركت حينئذ أن الزمام قد أفلت ففررت منهم وجئت لأنذركم .
- فرديه : ألم تر ذلك التاجر الإنجليزى مرة ثانية ؟
- زينب : الذى اسمه ردستون ؟

- محيى الدين : كنت حريصا أن أراه ولكنى لم أجد له حسا .
زينب : اختفاؤه هذا يؤكد أن له يدا فى الأمر .
محيى الدين : ولم أجد حسا لعلى الرشيدى كذلك .
زينب : كان هنا معنا .
محيى الدين : متى ؟
زينب : منذ قليل وخرج ليوصل أخته زبيدة إلى دارها .
فرديه : أنا بدأت أشك فيه .
محيى الدين : ولم تصنع معه شيئا ؟
فرديه : لا يصح أن تغضب الجنرال مينو فى شيء لا برهان لنا عليه .
زينب : ربما يكون الجنرال مينو نفسه ...
فرديه : كلا .. غير معقول .
زينب : أليس هو ضد الجنرال كليبر ويرى نفسه أحق بالقيادة العامة منه ؟
فرانسواز : يا سيدى الجنرال أراكم تتهامسون دوننا .
جاكلين : إذ كنتم لا ترغبون فى بقائنا ..
فرديه : أوه كلا .. بل يجب أن تبقى معنا لتكونا فى أمان ، ولكن حديثنا كان فى أمور خاصة لا شأن لكما بها .
(تسمع حركة من الخارج ثم يدخل الجنرال فريان)
فرديه : جنرال فريان . أهذا أنت ؟ (يتعانقان) من ساحة المعركة ؟

- فريان . : نعم .
 فردييه : متصيرين أم منهزمين ؟
 فريان : بل متصيرين انتصارا ساحقا ونحن نطاردهم فلوهم الآن في كل مكان .
 فردييه : فما الذى جاء بك من دون الآخرين ؟
 فريان : كنت أطاردهم ناصف باشا حتى دخل القاهرة فانضم إلى الثوار .
 فردييه : والجنرال كليبر ؟
 فريان : ذهب يطارد الصدر الأعظم صوب بلبيس .
 فردييه : اجلس .. استرح قليلا .
 فريان : كلا .. سأرى ماذا فعل غريمى ناصف باشا . (يهيم بالخروج ثم يوقفه) . معذرة .. من رأى يا جنرال فردييه أن تقصى السيدات من هنا ، فإن الثوار ستوجه أعنف هجومها على مقر القيادة (يخرج) .
 فردييه : ماذا ترين يا عزيزتى بيانكا ؟
 بلانش : كلا لا أتركك وحدك أبدا .
 فرانسواز : ونحن ماذا نصنع ؟
 فردييه : كما تحبان . إن شئنا بقيتا معنا وإن شئنا أرسلت معكما من يوصلكما من الجنود .
 جاكلين : سنبقى .
 فرانسواز : ربما يكون بيتنا أسلم يا جاكلين .

- جاكلين : كلا سنكون وحدنا هناك ، وخير لنا أن نموت في
الصحبة من أن نموت في الوحدة .
- فرانسواز : على مسئوليتك يا جاكلين .
- جاكلين : كلا .. كل واحدة منا على مسئوليتها هي .
- محيى الدين : وأنت يا زينب ما رأيك لو أوصلتك إلى دار والدتك ؟
- فرديه : هذا لا شك أفضل لك يا زينب .
- بلانش : أجل ستكونين هناك في أمان تام .
- زينب : كلا لا أبرح هذا المكان أبدا .
- بلانش : إن كان من أجلنا يا زينب فأنت في حل .
- زينب : كلا ليس من أجلكم بل من أجل أمتي وبلادي . أريد
أن أجاهد هنا لعلى أستطيع أن أبين للناس الخطأ الذى
وقعوا فيه .
- محيى الدين : الناس فى المعمعان لا يميزون بين الخطأ والصواب
ولا سيما العامة .
- زينب : فانطلق أنت إلى الخاصة عسى أن يقنعوا العامة . اذهب
إلى العلماء والزعماء وأرباب الجاه والنفوذ ليبصروا
الناس بالحقيقة ويحذروهم من الوقوع فى هذه المكيدة ،
وينهونهم عن الاشتراك فى هذه الفتنة الكبرى ، ويقولوا
لهم إنهم سيكونون وقودا لها وأن الأتراك والمماليك
سيتفرجون ويضحكون ، وسيمدون أيديهم فى نهاية
الأمر إلى الفرنسيين ويلقون التبعة كلها على الشعب

المسكين .

محيى الدين : (يتيأ للخروج) حبا وكرامة يا زينب .

زينب : (تشيعه) محيى .

محيى الدين : نعم .

زينب : حافظ على نفسك .

محيى الدين : سأفعل يا زينب .. من أجلك .

زينب : (تقبل رأسه) هل يؤلمك هذا الجرح بعد ؟

محيى الدين : لم يعد يؤلمنى بعد هذا البلمسم الذى وضعته عليه ، ولكن

يؤلمنى جرح آخر يا زينب .

زينب : لا تكن طماعا يا رجل . اذهب . انطلق . فى أمان الله .

(يخرج محيى الدين) .

بلانش : لماذا تعذبن نفسك يا زينب وتعذبنه معك ؟

زينب : لست أفهم ما تعنين .

بلانش : بل تتجاهلين .

زينب : أتجاهل ماذا ؟

بلانش : كنت تودين لو ارتميت بين ذراعيه .

زينب : هو فى شغل عنى وأنا فى شغل عنه .

بلانش : ما أحسبه يقوم بهذه الأعمال إلا من أجلك .

زينب : إنها بلاده كما هى بلادى .

(جموع الثوار يقبلون وتتعالى أصواتهم من بعيد) .

فرانسواز : ما هذه الضوضاء ؟

- جاكلين : هذه جموع الثوار .
فرانسواز : أنت السبب يا جاكلين .
جاكلين : لا تحاولي أن تلقى اللوم عليّ .
فرانسواز : هل نستطيع أن نهرب الآن ؟
جاكلين : الآن هيهات . إلا إذا أردت أن تتخلصي من حياتك .
زينب : أعطني بندقية يا جنرال فردييه .
فردييه : ماذا تصنعين بها ؟
زينب : سأقاتل بها معكم . سأطلق الرصاص على هؤلاء الأتراك
والمماليك .
فردييه : تحسّنين إطلاق الرصاص ؟
زينب : كل أتباع الجوسقى مدربون على استعمال السلاح .
فردييه : ما كنت من أتباعه .
زينب : صرت اليوم من أتباعه .
(يناولها بندقية)
بلانش : أعطني أنا أيضا .
فردييه : خذى (يناولها بندقية) .
بلانش : (لفرانسواز وجاكلين) وأنتما ؟
جاكلين : نحن لا نعرف كيف نستعمل السلاح .
فرانسواز : لا أحد علمنا ذلك .
الأصوات : (تتضح) قاتلوا أعداء الله الفرنسيين .
(تسمع طلقات الرصاص من الجانبين)

- فرديهه : إلى أين يا زينب .
- زينب : سأصعد إلى السطح .
- فرديهه : جنودنا في السطح .. لا يصح أن تكوني معهم .
- زينب : أريد أن أحاطب الجماهير .
- فرديهه : خطر عليك . ألا يصيبوك برصاصهم .
- زينب : يجب أن أسمعهم صوتي . (تخرج) .
- فرديهه : (يصيح لرجاله) كفوا عن الضرب ريثما تقول السيدة زينب كلمتها للجماهير (ينقطع إطلاق الرصاص ويسمع صوت زينب تتخلله همهمات الاستكثار) .
- زينب : يا بنى وطنى . أيها المسلمون . لا يتخذ عنكم نصوح باشا وعصابته . إنهم فروا من الميدان منهزمين وزعموا لكم أنهم انتصروا على الفرنسيين . كيف تقاتلون قوما يريدون الجلاء عن بلادكم من أجل قوم يريدون أن يستعبدوكم ويستذلوكم من جديد ؟ أيها المسلمون . إن هؤلاء الأتراك والمماليك ليسوا من الإسلام فى شيء ، وإنما اتخذوه شعارا زائفا ليعودوا إلى ما كانوا عليه من ظلم وفجور . يا أولاد العرب هذه فرصتكم لتستردوا حرية العرب وكرامة العرب .
- أصوات : (مع أصوات الحجارة وهى تلقى عليها) اسكتى يا صديقة الفرنسيين . اسكتى يا خليعة بونايرت .
- اقتلوا الفاجرة . اقتلوا الكافرة .

(تخرج بلانش منطلقاً ثم تعود بزینب والدم يسيل على

وجهها) (تعود طلقات الرصاص من جديد) .

فردیه : (لبلانش وهى تضمد جرح زینب) إصابتها خطيرة .؟

بلانش : ضربة حجر فوق الحاجب . الحمد لله إذ لم يصب عینها .

فرانسواز : ألا خوف علينا يا جنرال ؟

جاکلین : إنهم يريدون اقتحام السور .

فردیه : سأمرهم الآن بإطلاق المدافع . ستحصدهم حصدا .

زینب : أرجوك يا جنرال فردیه .. لا توجهوا المدافع إلى جموع الشعب . وجهوها إلى الأتراك والمماليك لعل الشعب حين يرى ذلك ينفذ عنهم .

فردیه : كيف نميز بينهم ؟

زینب : الراكبون على الخيل هم الأتراك والمماليك .

فردیه : لكن هؤلاء لا يتقدمون الصفوف بل يتترسون وراء جموع الشعب .

زینب : بقدر الإمكان يا سيدى . بقدر الإمكان (تصوب

بندقيتها فتضرب) هأنذا قتلت واحدا منهم .

(يعطى فردیه إشارة البدء فتطلق المدافع من كل

جانب) .

(يهتز المبنى من طلقات المدافع فترتاع فرانسواز

وجاكلين وتضعان أصابعهما في آذانهما) .

(فردييه يتحرك من مكان إلى مكان ليعطى أوامره)

(بلانش تصوب بندقيتها وتضرب)

زينب : (تتمم) ترى أين أنت الآن يا محبي الدين ؟!

(ستار)

الفصل الثاني

نفس المنظر السابق في بيت الألفى بك ولكن بعد
أن ظهرت عليه آثار التهديم والترميم من جراء الثورة
السابقة .

في الممر شبه خيمة نصبها العمال ليستريحوا فيها
ويستظلوا من الشمس .

الوقت : منتصف النهار من يوم ١٤ يونية
سنة ١٨٠٠

(يرفع الستار فترى مينو وعلى الرشيدى جالسين
على الأرض تحت الخيمة وهما يدخان النرجيلة وأحد
العمال يمونها لهما بالجمر) .

- | | |
|------|---|
| مينو | : متى تفرغون يا عبده من هذه الترميمات ؟ |
| عبده | : بعد شهر إن شاء الله . |
| مينو | : بعد شهر ! هذا كثير . |
| عبده | : البيت كدنا نفرغ من ترميمه ، ولكن يبقى علينا بناء
السور كله من جديد . |
| مينو | : أنت على هؤلاء العمال كلهم ؟ |

عبده : نعم .. المهندس بروتان عيننى مشرفا عليهم . اسمح لى .
سأرى ماذا يصنعون هناك .

مينو : تفضل .

الرشيدى : لا تذهب بعيدا يا عبده لتسمعنا إذا احتجنا إليك .

عبده : لن أذهب بعيدا . سأسمعك إذا ناديتنى . (ينسحب) .

الرشيدى : (يتلفت حوله) لن تقيم فى هذا البيت إذن يا سيدى
الجنرال إلا فى ١٤ يوليه .

مينو : ١٤ يوليه ؟

الرشيدى : بعد شهر من اليوم . نحن اليوم فى ١٤ يونيه .

مينو : هذا إذا نجح الرجل فى مهمته .

الرشيدى : سينجح بإذن الله .

مينو : قلت لى مرة إنه شاب ضعيف البنية ضعيل الحجم .

الرشيدى : لكنه قوى القلب بالإيمان .

مينو : أوافق أنت من ذلك ؟

الرشيدى : كل الثقة . ولا سيما بعد ما صعدت معه إلى المقطم
ورأيت منه ما رأيت .

مينو : ماذا رأيت منه ؟

الرشيدى : أظننى قد حدثتك به من قبل .

مينو : ما أذكر أنك حدثتنى بشيء عن المقطم .

الرشيدى : عجباً ! يخيل لى أننى فعلت .

مينو : كلا .. أنت واهم .. ما خطبك ؟

- الرشيدي : والله لا أدري ما خطبى ؟ لا بد أن عقلى أصابه شيء .
- مينو : هذا من التوتر . أنا أيضا عندى شيء مما عندك .
- الرشيدي : اليوم إن شاء الله ينتهى كل شيء .
- مينو : حدثنى عن المقطم .
- الرشيدي : صحبتته ذات ليلة فصعد بى إلى مسجد مولانا الشيخ عمر بن الفارض فصلينا العشاء ، ثم بات يتهجى طول الليل حتى الفجر وهو يدعو الله ويكفى ويقول : رب هب لى قوة لأقتل هذا الجبار العنيد وأنقذ المسلمين منه
- مينو : وبقيت أنت ساهرا طول الليل ؟
- الرشيدي : لا .. غلبتنى عينى فنمت وصحوت عند الفجر فوجدته قائما على حاله ، فأدركت أنه ما من قوة فى الأرض تستطيع أن تقف فى سبيله .
- مينو : حقا هذا حديث عجيب . (يسمع حركة فيضطرب) ناد عبده ليحضر لنا الجمر .
- الرشيدي : (مناديا) عبده .. يا عبده .
- عبده : (صوته) نعم .
- الرشيدي : الجمر للنارجيلة .
- عبده : (صوته) حاضر .
- الرشيدي : الشقراء يا سيدى الجنرال .
- مينو : انتظر حتى أداعبها قليلا .
- الرشيدي : لا يصح يا سيدى الجنرال .

- مينو : من باب التسلية فقط .
- فرانسواز : أنت تعرف لماذا ؟
- مينو : أنت لا تعرفين .
- (تصعد فرانسواز إلى السرواق فتستقبلها بلانش وزينب) .
- فرانسواز : (تظهر) جنرال مينو . ماذا تصنع هنا ؟
- مينو : كما ترين . أنفث أنفاس الحب .
- فرانسواز : لمن ؟
- مينو : لمن ؟ إلا لشقراى الجميلة . تفضلى . اجلسى .
- فرانسواز : أين ؟ على الأرض ؟
- مينو : على حجرى إن شئت .
- فرانسواز : ويقولون عليك إنك أسلمت .
- مينو : من قال لك إن الإسلام يمنع من تذوق فى الحسن وإكرامه ؟
- فرانسواز : ألا تخاف من زوجتك العربية أن تضربنى وتضربك ؟
- مينو : اطمئنى . هذا أخوها يحرسنا . (يضحك الثلاثة) .
- فرانسواز : أنا صاعدة .
- مينو : انتظرى .
- فرانسواز : ماذا تريد ؟
- مينو : خبرينى لماذا أنت شقراء وشقيقتك سمراء ؟
- فرانسواز : أوه .. قد أخبرتك غير مرة . أمنا سمراء وأبونا أشقر .

- مينو : وأين شقيقتك .
فرانسواز : ذهبت إلى مسكن القائد العام في الجزيرة . اليوم نوبتها هي .
مينو : وتذهب إحداكما كل يوم إلى الجزيرة ؟
فرانسواز : نعم إلى أن ينتهي ترميم هذا البيت .
مينو : وبعد ترميمه ؟
فرانسواز : ستجىء معنا .
مينو : وترضين يومئذ عنى ؟
فرانسواز : جنرال مينو .
مينو : اسمعى يا فرانسواز . لا حاجة لى إلى السمراء فحسبى زبيدة زوجتى وأنا تعوزنى الشقراء فقط .
فرانسواز : كلا .. ابحث لك عن شقراء غيرى .
مينو : لماذا ؟
فرانسواز : أنت تعرف لماذا ؟
مينو : أنت لا تعرفين ؟
(تصعد فرانسواز إلى الرواق فتستقبلها بلانش وزينب) .
بلانش : أهلا وسهلا كئنا ننسق أثاث البيت فى الداخل .
زينب : هل تحبين أن تساعدينا ؟
فرانسواز : بكل سرور . (ينسحب داخل البهو) .
الرشيدى : هذا محبى الدين . ماذا جاء به اليوم ؟

- مينو : لا شأن لك بمحيى الدين . ابتعد عن طريقه خيرا لك .
- الرشيدى : كيف وهو ينافسنى فى حب زينب
- مينو : وابتعد أيضا عن زينب .
- الرشيدى : كيف وأنا أعشقها ؟
- مينو : اعشق لك واحدة أخرى .
- الرشيدى : قلبى لا يعشق غيرها .
- مينو : لا تجعل محبى الدين غريمك فيتعقب حركاتك ، فإنى أرى فى عينيه شكاً كلما نظر إلى أو نظر إليك ..
- (يظهر محبى الدين فيومئذ بالتحية لمينو والرشيدى ويصعد إلى الرواق حيث تستقبله زينب) .
- محبى الدين : زينب . ماذا يصنع هذا الرشيدى تحت ؟
- زينب : أظنه يدخن النرجيلة مع زوج أخته .
- محبى الدين : هل لاحقك اليوم بغزله السخيف ؟
- زينب : وما أهمية ذلك يا محبى ؟
- محبى الدين : لا أكتملك يا زينب أننى بدأت أغار عليك منه .
- زينب : أجننت يا محبى ؟ ما هذا السخف ؟
- محبى الدين : لقد بلغنى أنه خطبك من أهلك ،
- زينب : ليفعل ما بدا له فأنا ولىة أمرى .
- محبى الدين : فى وسعك أن تقطعى كل هذا بكلمة صغيرة منك .
- زينب : ما خطبك يا ابن عمى .. أين ذهب حلمك واتزانك ؟

- محيى الدين : لم يبق لى حلم ولا اتران .
زينب : أنت إذن لا تحبى .
محيى الدين : إن لم يكن هذا حبا .. فكيف يكون الحب ؟
زينب : لو كنت تحبى حقاً لملك ما همنى وشغلك ما شغل
بالى .
محيى الدين : وهل بقى لى من شغل غير ذلك ؟
زينب : فاثبت إذن على حالك .
محيى الدين : إلى متى .
زينب : إلى أن تنكشف عن بلادنا وأمتنا هذه الغمم المتلاحقة .
محيى الدين : وأنى لها أن تنكشف ؟
زينب : إذا حققنا ذلك الهدف الكبير .
محيى الدين : إنشاء جيش الشعب ؟
زينب : نعم .
محيى الدين : سيطول انتظارنا إذن يا زينب .
زينب : فلنتظره فإنه أمر يستحق الانتظار .
محيى الدين : لكن العمر لا ينتظر .
زينب : نحن بعد فى مقتبل الشباب .
محيى الدين : والشباب نفسه لا ينتظر .
زينب : واجبنا يا محيى الدين ليس لنا أن نتخلى عنه .
محيى الدين : وحقنا فى الحياة بل حق الحياة علينا يا زينب ، هل لنا أن
ننكره ؟

- زينب : نحن لا ننكر حق الحياة بل ننشد الحياة الأسمى .
محيى الدين : تلك نهاية الحياة .
زينب : بل بدايتها .
محيى الدين : الحياة الأسمى لا تكون إلا هناك في الآخرة .
زينب : بل تكون أيضا هنا في هذه الدنيا .
محيى الدين : هيهات !
زينب : قد حققها لنا آباؤنا من قبل . حياة العزة والكرامة والحق والعدل .
محيى الدين : (كأنه يسمع حسا من بعيد) كليبر .
زينب : أجل . (يتحركان إلى أقصى المسرح) لا بد أن نكلمه اليوم .
محيى الدين : لا خير يرجى منه .
زينب : لا ينبغي أن نئس .
محيى الدين : إنه سيصدر أمره اليوم بإعدام البشتيلي .
زينب : هذه فرصة طيبة لنناقشه في القضية من جديد .
(يتركز الضوء على الخيمة ومينو والرشيدي يدخلان في انسجام وإذا صوت غليظ يسمع فجأة فيهمان واقفين في حركة لا شعورية) .
الصوت : قفوا . قفوا في احترام لموكب القائد العام .
مينو : اللعنة . ما لنا وقفنا ؟
الرشيدي : من الرهبة .

- مينو : أنا جنرال مثله .
- الرشيدى : دعنا نجلس ثانية .
- مينو : كلا . قد رأنا كليب البر .
- الرشيدى : كليب البر !
- مينو : هذا اسمه العربى .
- (يظهر كليب ماشيا فى شموخ ومعه فرديه والمهندس بروتان فيومئ بالتحية لمينو فى غير احتفال ، ثم يصعد الثلاثة إلى الرواق حيث تستقبلهم بلانش وزينب ومحمى الدين وفرانسواز) .
- الرشيدى : رأيت إلى جيروته ؟
- مينو : صه . هذا الجبروت فى صالحنا لأنه سينفى عنا كل شبهة .
- الرشيدى : كليب البر . هذا اسم عربى حقا .
- مينو : أتدرى من سماه كذلك ؟
- الرشيدى : من ؟
- مينو : البشتيل .
- (يصعدان إلى الرواق فينضممان إلى الآخرين ، ويجلس مينو قريبا من كليب) .
- كليب : أحضروا المجرم .
- (يظهر اثنان من الحرس ويسوقان مصطفى البشتيل وهو مكبل بالحديد حتى يقفا به أمام كليب) .

- كليبر : أنت مصطفى البشتيلي ؟
البشتيلي : نعم .
كليبر : أين اختبأت طوال هذه المدة ؟
البشتيلي : في مدينة القاهرة .
كليبر : عند من من أهل القاهرة ؟
البشتيلي : لست خائناً فأخبرك بأسماء من آوونى ؟
كليبر : رأيت اليوم كيف لم تستطع أن تفك منى يا كلب ؟
البشتيلي : أعترف يا سيدى أن حاسة الشم عندك أقوى .
مينو : (تند منه ضحكة فيكتبها) معذرة يا سيدى الجنرال .
هذا حشاش والحشاشون بارعون فى النكت المضحكة .
كليبر : (ينظر شزرا إليه ثم يلتفت إلى البشتيلي) أيها الوغد .
البشتيلي : لا تغضب منى . هو الذى فسرهما هذا التفسير السخيف .
مينو : لا تحاول أن تتنصل من هذا المعنى فقد صرحت به فى كتابك الذى وقع فى أيدينا ، إذ تقول فيه : كليب البر دعانا إلى الصلح فأبيننا .
البشتيلي : أنا قلت إن كليبر .
مينو : بل قلت إن كليب البر .
البشتيلي : لعل أخطأت فى كتابة اسمه يومذاك .
مينو : كلا بل قصدت التصغير . كليب : أى كلب صغير .

البشتيلي : ما ذنبى أنا يا سيدى إذا كان هذا هو اسمك الذى سموك به

من قبل أن تجيء إلى مصر ؟

كليبر : كلب صغير . سترى الآن كيف يكون انتقامى .

البشتيلي : يا سيدى الجنرال قد انتقم منى ومن أهل بلدى بما فيه

الكفاية .

كليبر : كلا ما رأيتم بعد شيئا .

البشتيلي : فى بولاق النار التهمت الرجال والنساء والأطفال

والشيوخ والقصور والدور وكل شيء .

كليبر : أنت كنت السبب . أنت الذى جلبت الخراب والدمار

على بولاق .

البشتيلي : بل كان الممالك والأتراك هم السبب فى كل ما حل بنا ،

فقد خدعونا وأوهمونا أولا أنكم أنتم الذين نقضتم

المعاهدة وأبيتم إلا البقاء فى البلاد ولذلك خرجتم لقتالهم

فى عين شمس ، ثم أوهمونا ثانيا أنهم هزموكم فى الميدان

وأقبلوا للقضاء على حاميتكم فى العاصمة .

كليبر : وصدقتم هذه الأكاذيب والأراجيف ؟

البشتيلي : صدقناها فى أول الأمر ، ولما بدأنا نكتشف الحقيقة كنتم

قد اتفقتم معهم علينا وباعونا لكم بعد ما أثارونا

عليكم ، فاشتد غضبنا عليهم وأردنا أن ننتقم منهم فإذا

أنتم تحمونهم منا وتحرقون بلدنا بالحطب الذى أرسله

لكم مراد بك فى السفن ، وتدعوننا إلى التسليم فأبينا

- ذلك الذل المهين وآثرنا أن نموت كراما أجمعين .
- كليبر : لكنك آثرت أن تبقى بعدهم يا جبان .
- البشتيلي : آثرت أن أبقى لأقاتل الأتراك والمماليك وأقاتلكم .
- كليبر : فسأختار لك الآن أشنع ميتة .
- البشتيلي : افعل ما بدا لك فإنما هي ميتة واحدة .
- كليبر : (للحرس) احصوا من بقى من أهل بولاق ممن يعرفون هذا الرجل الأقرب فالأقرب ، ثم اجمعوهم في ميدان عام فمروهم أن يضربوه بعصيهم ونبايتهم حتى يموت .
- مينو : يا سيدى الجنرال هذه قسوة لا داعى إليها ، وستثير الناس عليك .
- كليبر : اسكت أنت .
- مينو : لقد كان سلفك العظيم بونابرت يكره أن يستفز مشاعر الناس .
- كليبر : اللعنة . دعنى من بونابرتك . (للحرس) هيا خذوه .. نفذوا ما أمرتكم .
- الحرس : سمعوا وطاعة . (يسوقون البشتيلي حتى يخرجوا به) .
- فرديه : سيدى الجنرال لا أريد أن أناقشك فيما حكمت به على البشتيلي جزاء ما جنت يداه ، ولكن الكلام الذى قاله ينطوى على كثير من الصدق والصراحة ، فعلينا أن نتدبره لنفهم حقيقة ما حدث ذلك اليوم فنعالج الأمور على بصيرة . إن أهل القاهرة كانوا معذورين فيما حدث

فقد كنا نحن أنفسنا نصدق ذلك الإرجاف الذى أشاعه
نصوح باشا وجماعته حين دخلوا القاهرة .

مينو : هب أننا انهزمنا حقاً فى الميدان ، فهل يليق بأهل القاهرة

أن يثوروا على حاميتنا فيها إلا إذا كانوا متواطئين مع
الأتراك والمماليك على تسليمنا أسرى حرب للإنجليز ؟

فرديه : الأتراك والمماليك هم الذين تواطأوا مع الإنجليز على

ذلك . أما أهل البلاد فقد كانوا يكرهون أن يعودوا إلى
حكم الأتراك والمماليك لولا أننا نحن الذين أمضينا

عليهم ذلك وأبرمناه فى شروط المعاهدة .

كليبر : ما كان فى وسعنا إلا أن نبرم ذلك فى شروط المعاهدة لأن

مصر تعتبر ولاية عثمانية .

فرديه : إذن فليس لنا أن نلوم المصريين إذ ثاروا على حاميتنا ذلك

اليوم نزولاً على أمر العثمانيين الذين أوهموهم أننا انهزمنا
فى الميدان وأنهم كانوا هم المنتصرين .

مينو : ماذا يريد الجنرال منا أن نفعل ؟ أن نعتذر للمصريين عما

أصابهم منا فى الأرواح والأموال ؟

فرديه : كلا إن الاعتذار لا يفيدهم ولا يفيدنا شيئاً ، ولكن

علينا أن نحول دون وقوع ذلك مرة أخرى فى المستقبل .

كليبر : كيف ؟

فرديه : إذا نحن وافقنا على إنشاء جيش الشعب .

مينو : عجباً لك يا جنرال فرديه . لقد ثار المصريون علينا

وليس لديهم جيش ، فكيف إذا صار لهم جيش
مدرب ؟

فرديه : لو كان لهم جيش مدرب لما استطاع الأتراك والمماليك
أن يحملوهم على الثورة بنا ونحن نريد الجلاء عن
بلادهم .

مينو : لكننا قد عدلنا عن فكرة الجلاء وأدركنا وجوب بقائنا في
هذه المستعمرة الجميلة .

فرديه : هذا رأيك أنت وليس رأينا ولا رأى القائد العام .

مينو : إن قائدنا الشجاع قد فتح القاهرة من جديد ، فلا يعقل
أن ينزل عن هذا الفتح العظيم الذى توج هامته بأكاليل
من المجد والفخار .

فرديه : إن كنت تظن أن القائد العام قد غير رأيه فى الجلاء ،
فأنت مخطئ .

مينو : أنا واثق من ذلك .

كلير : يا جنرال مينو . إنك تتجه بوجهك صوب الشرق وأنا
أتجه بوجهى صوب الغرب ، ولا يمكن أن نتفق فى هذا
الأمر أبدا .

مينو : يا لها من خسارة كبيرة على فرنسا إذا ضاعت منها هذه
المستعمرة الجميلة ، إذا احتلتها بعدنا دولة أوربية
أخرى .

فرديه : إنشاء جيش الشعب هو الضمان الوحيد دون هذا الخطر

- العتيد .
- كليبر : ضمان للمصريين ولكن خطر علينا .
- مينو : لا شك في ذلك .
- فرديه : بل ضمان لنا ولهم على السواء . إن هذا الجيش سيكون مدينا لنا بوجوده ، فليس من المعقول أن يخوننا أو يغدر بنا .
- كليبر : ليس في هذه البلاد معقول وغير معقول . يحاربونك لأنك لا تريد أن تجلو عن بلادهم ، ويحاربونك لأنك تريد أن تجلو عن بلادهم .
- فرديه : هذا كله سيزول إذا صار الأمر فيها إلى يد أهلها ، ولن يتحقق ذلك إلا بإنشاء جيش الشعب .
- كليبر : كلا لا أستطيع أن أعتمد إلا على فرقة الأروام التي اختبرناها اليوم في جزيرة الروضة .
- فرديه : هذه فرقة أجنبية .
- كليبر : وفرقة الجنرال يعقوب التي لا تقل عنها إخلاصا وكفاية ؟
- فرديه : هذه تعمل على التفرقة بين المسلمين والمسيحيين في البلاد ، وقد كان لها دور كبير في استفزاز المسلمين ذلك اليوم حتى وقع بين الفريقين ما يؤسف له .
- مينو : أما أنا فأرى أن تحمل هذه الفرق كلها لأن في وجودها استفزازا لشعور أهل البلاد .

- كليبير : كلا لا غنى لنا عن هاتين الفرقتين ، بل سأنشئ فرقا أخرى على هذا الغرار .
- مينو : إني أشفق عليك يا جنرال كليبير من سياسة التحدى والجبروت التي تتبعها ، فمنذ أخذت الثورة وأنت تعاملهم بقسوة لا نظير لها .
- كليبير : لا سبيل إلى إخضاعهم إلا بهذه القسوة .
- مينو : ماذا تفيد من أمر الناس بالوقوف على أقدامهم في الطريق كلما مر موكبك ؟
- كليبير : لأستذلهم وأشعرهم بقوتي وجبروتي .
- مينو : وكيف تفرض عليهم غرامة قدرها اثنا عشر مليون فرنك ؟ من أين لهم ذلك ؟
- كليبير : ليس يعنيني أن أعرف من أين .
- مينو : يقول المثل : إذا شئت أن تطاع فأمر بما استطاع .
- كليبير : احتفظ بأمثالك هذه لنفسك .
- مينو : والسيد السادات الذى يعتقد فيه العامة وييجلونه ، كيف تشجدها وتلزمه بدفع مائة وخمسين ألف ريال أى ثمانمائة ألف فرنك ؟
- كليبير : هو الذى حرض الناس على الثورة .
- فرديه : ليس لدينا برهان على ذلك إلا ما زعمه لنا مراد بك ، ومراد بك يكره السادات ويحقد عليه من قديم لأنه كان يعارضه ويغلظ له فى الكلام فلا يعتد بشهادته .

مينو : حتى إن ثبت أنه كبير المحرضين على الثورة لا يصح أن يعامل تلك المعاملة المهينة ، حيث ينام على الشراب ويتوسد بالحجر ويضرب بالعصى أمام زوجته وهي تبكى وتصيح .

كليبر : قد أمرناهم فنقلوا زوجته من عنده إلى بيت الشيخ الفيومي .

مينو : بغد ما أروها الويل وأشعلوا نيران الحقد في نفوس الناس عليك . هذا الرجل الذى كان يتحاشاه بونايرت العظيم .

كليبر : لا شأن لى بونايرت .

مينو : ثم لم تكتف بذلك حتى تحديث المسلمين تحديدا صارخا . كيف منعتم من ركوب البغال وأبحت ذلك للنصارى ؟ ما هذه التفرقة فى المعاملة ؟ ما هذا الظلم الواضح ؟ ألا تخشى يا جنرال كليبر على نفسك ؟ ألا تخشى علينا جميعا من انتقامهم الفظيع ؟

كليبر : هذه سياستى وأنا أعرف ماذا أصنع .

مينو : اشهدوا يا قوم أننى قد حذرتهم وأنذرتهم وأدبت لهم واجب النصيحة .

(يدخل الجنرال داماس)

داماس : مدام فردييه . إلام تحبين القوم هنا عندك ؟

بلانش : كلا أنا ما حبستهم يا جنرال داماس ، ولكنهم كانوا

- يتحاورون في السياسة فأنسأهم موعدك .
- داماس : ألم يذكرهم الجوع ؟ لعلك قدمت لهم شيئاً فتعلموا به .
- بلانش : لا لم يذوقوا هنا شيئاً غير الكلام .
- داماس : هلموا إذن فأتموا حواركم على المائدة .
- مينو : كلا لا نريد كلاماً في السياسة على المائدة .
- (ينهضون جميعاً فيخرج كليبر وبروتان وداماس في المقدمة ، بينما ينتحى مينو بالرشيدى جانبا وينتحي الآخرون جانبا آخر وتقف فرانسواز وحدها) .
- مينو : ما رأيك فيما قلت لكليبر اليوم ؟
- الرشيدى : كلام رائع . تغطية جميلة .
- مينو : اذهب انت الآن إلى سبيلك .
- الرشيدى : إلى اللقاء (يخرج) .
- مينو : فرانسواز . تعالى معى .
- فرانسواز : أنا لست مدعوة .
- مينو : (يأخذ بيدها) أنت معى في صحبتى . لن نفترق أبداً منذ اليوم . (يخرجان) .
- فرديه : ما رأيكم فيما قلته اليوم ؟
- زينب : بورككت . لقد عبرت عما في نفوسنا أحسن تعبير .
- محيى الدين : وأحسنتم الدفاع عن مشروع جيش الشعب .
- بلانش : وكنت يا عزيزى كأنك محام بارع .
- فرديه : للكلام بقية . يجب أن تعودا بعد الغداء لنواصل الحديث

مع الجنرال كليبر .. لن نتركه حتى يقتنع . إلى اللقاء
(يخرج هو وبلانش) .

زينب : أرأيت إلى خبث الجنرال مينو ؟ كان ينهائ عن القسوة
ليستفز الحاضرين من القسوة .

محيى الدين : أجل . إني لا أشك مطلقاً أنه هو والرشيدي يسعيان معا
في تدبير أمر مريب .

زينب : أنت لا تفكر إلا في الرشيدي .

محيى الدين : لا شك عندي أنه هو همزة الوصل بين مينو وبين ذلك
التاجر الإنجليزى فى رشيد .

(يخرجان)

(يظهر على الرشيدي فى الحى وحده وقد تنكر فى زى
أحد عمال البناء وهو يتلفت كأنه ينتظر قادما) .

الرشيدي : (يتمم) ترى ماذا أخره ؟ صلاة العصر فى الأزهر ؟
ماذا عليه لو ترك صلاته اليوم فى سبيل هذا الـ ... جهاد
فى سبيل الله . ها هو ذا .. الحمد لله .

(يبرز سليمان من خلال الأشجار)

سليمان : السلام عليكم .

الرشيدي : وعليكم السلام ورحمة الله .

سليمان : (يدخل الخيمة) ما عرفتك فى هذا الزى إلا بصعوبة .

الرشيدي : رأيت أن أتذكر أفضل لى ذلك .

سليمان : أجل سيظنوننى صديقا لأحد عمال البناء الذين يعملون

معنا . لكن أين هم الآن ؟

الرشيدي : سرحوهم بعد الظهر كعادتهم يوم السبت ، وهذا من حسن الحظ .

سليمان : بل من تدبير الله يا علي .. إن الله عز وجل قد هباً لنا كل شيء ..

الرشيدي : صدقت يا سليمان هذه مشيئة الله .

سليمان : حدثني الآن عن الخطبة . هل تغير منها شيء ؟

الرشيدي : لا .. كما هي . هم الآن يتغذون على مائدة الجنرال داماس .

سليمان : هناك في ذلك البيت عند نهاية الحديقة ؟

الرشيدي : نعم .

سليمان : وبعد الغداء يعودون إلى هنا ؟

الرشيدي : نعم .

سليمان : كيف إذن يمكنني أن أصطاده وحده ؟

الرشيدي : لا تخف . سيجتهد صاحبي في تدبير ذلك ما أمكنه .

سليمان : وفق الله صاحبك للخير .

الرشيدي : معك الخنجر ؟

سليمان : معي .

الرشيدي : أرنيه . (يخرج سليمان من بين ثيابه) هذا صغير .

سليمان : لكنه حاد قاطع .

الرشيدي : إنه ضخم كبير .

- سليمان : الله أكبر يا علي من كل كبير .
- الرشيدي : خبرني يا سليمان لماذا لم ترض أن تأخذ مني شيئا تستعين به ، وقد عرضت عليك ذلك أكثر من مرة ؟
- سليمان : لأنني لم أحتج إلى شيء .
- الرشيدي : إنك أخبرتنني أن ياسين أغا أعطاك أربعين قرشا فقط عند سفرك من غزة .
- سليمان : نعم .
- الرشيدي : وقد صار لك اليوم شهر في القاهرة ، فمن أين تنفق على نفسك ؟
- سليمان : أظننت أنني آخذ من أحد غيرك ؟ كلا يا أخي . إني مقتصد قليل النفقة .
- الرشيدي : ما كان لك أن ترفض ما عرضته عليك .
- سليمان : ماذا أصنع به ؟
- الرشيدي : توسع به على نفسك وتتغذى جيدا لتقوى على هذا الوحش .
- سليمان : إن قوتي بالله يا رشيدي ، وليس بجسدي هذا الواهن .
- الرشيدي : كأن أحدا في القاهرة لم يطلع على سرك ؟
- سليمان : لا أحد إلا أربعة من زملائي المجاورين في الأزهر .
- الرشيدي : وى ! لقد أهلكتنا وأهلكك نفسك .
- سليمان : لا تخف . إنهم جميعا من أبناء غزة .
- الرشيدي : ولو .

- سليمان : أنا لم أخبرهم . كانوا يعلمون به من قبل .
- الرشيدي : من أين ؟
- سليمان : من ياسين أغا نفسه .
- الرشيدي : كيف ؟
- سليمان : أرسل إليهم كتابا من غزوة ليشاركوا معي في هذه المهمة .
- الرشيدي : في قتل ساري عسكر ؟
- سليمان : نعم .. إن لم أنجح أنا في قتله قام أحدهم بذلك ، ولكني سأنجح بإذن الله . إنهم أقوى مني جسدا ولكني أقوى منهم إيمانا . إنهم يخافون ويترددون .
- الرشيدي : وأنت لا تخاف شيئا ؟
- سليمان : ماذا أخاف ؟ أخاف من دخول الجنة ؟ أما الدنيا فحسبي منها أن سيكف الظلم عن والدي المسكين ويحسن معاملته إذا أنا قتلت هذا الطاغية .
- الرشيدي : أنت شرطت عليهم ذلك ؟
- سليمان : نعم وليتنى ما فعلت .
- الرشيدي : لماذا ؟
- سليمان : أخشى أن يكون في ذلك ما يحبط عملي . أردت أن أستفتي بعض العلماء في ذلك ولكنني خشيت أن يكشفوا السر .
- الرشيدي : أتريد أن تسمع رأيي في هذه المسألة ؟
- سليمان : نعم .. أفتنى يا أخي من فضلك .

الرشيدي : إنك أضفت إلى الجهاد في سبيل الله البر بوالدك ، فكيف يحبط الله عملك ؟

سليمان : (يقبل رأسه فرحا) أحسنت يا أخى .. الآن اطمأن قلبي . خبرني يا أخى أوافق أنت أن صهرك عبد الله مينو هو الذى سيلي قيادتهم بعد الطاغية ؟

الرشيدي : لا شك فى ذلك فهو أكبر قوادهم سنا وأقدمهم فى الخدمة العسكرية ، ثم أنه قومندان العاصمة .

سليمان : ومخلص هو فى إسلامه ؟

الرشيدي : فيم كل هذه الأسئلة ؟ هو على كل حال خير منى ومن كثير من المسلمين .

سليمان : لا تؤاخذنى .. أردت أن أزداد طمأنينة . خذ يا أخى إذا تكلمت .

(يخرج له بعض النقود) .

الرشيدي : ما هذا ؟

سليمان : الذى بقى معى من النقود .

الرشيدي : أنت أحوج إليه منى .

سليمان : أنت ستعيش بعدى . تصدق به إن شئت .

الرشيدي : ألا تبقيا معك عسى أن تنجو بعد المهمة .

سليمان : هيهات !

الرشيدي : لعلك تستطيع أن تهرب .

سليمان : كلا لا أريد أن أهرب .

- الرشيدى : لماذا ؟
- سليمان : لئلا يظن هؤلاء الكفرة أن إخواننا المصريين هم الذين فعلوها ، فينالهم من البطش والتنكيل فوق ما نالهم .
- الرشيدى : كأنك تريد أن تعترف .
- سليمان : لا تخف يا رشيدى فلن أعترف على أحد من المصريين أبدا .
- الرشيدى : وتعترف على غيرهم ؟
- سليمان : إذا اضطررت إلى ذلك .
- الرشيدى : لكن اعترافك على غير المصريين قد يفضى إلى كشفنا نحن .
- سليمان : ثق يا أخى أن الله سيلهمنى القوة والصبر .
- الرشيدى : هل تعرف رdstون ؟
- سليمان : من رdstون هذا ؟
- الرشيدى : تاجر إنجليزى كان يعمل فى رشيد .
- سليمان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أنا لا أعرف أحدا من هؤلاء الكفرة .
- الرشيدى : هذا رجل موال للعثمانيين .
- سليمان : لأن قومه الإنجليز تحالفوا مع العثمانيين .
- الرشيدى : أجل .
- سليمان : لعنة الله عليهم أجمعين . هؤلاء الكفار الأجانب كلهم سواء . كلهم أعداء للمسلمين ولبلاد المسلمين .

الفرنسيين والإنجليز وغيرهم .

الرشيدى : وى ! هذا صاحبى قد خرج من الوليمة . استعد
يا سليمان . اختف بين تلك الأشجار .

سليمان : (ينهض) ادع لى بالتوفيق يا على .

الرشيدى : وفقك الله وأيدك بروح من عنده .

(يختفى سليمان ويختفى الرشيدى أيضا ، ولكنه

يظهر بعد قليل وقد عاد إلى زيه الأسمى)

(يظهر الجنرال مينو ومعه فرانسواز يتأبط ذراعها)

مينو : أنت هنا يا رشيدى ؟

الرشيدى : فى انتظاركم . ماذا أصنع ؟ لست مدعوا إلى الوليمة
فتغديت فى السوق ثم عدت .

(يظهر فردييه وبلانش)

بلانش : اصعدوا يا سادة ماذا تنتظرون ؟

مينو : بعدكما .. أنتمأ صاحبا البيت .

بلانش : عفوا . البيت ليس بيتنا . هذا مقر القيادة العامة .

مينو : أنتمأ المشرقان عليه .

بلانش : ريثما يتم ترميمه . تفضلى يا فرانسواز .

(تصعد ومعه فرانسواز)

فردييه : تفضلوا (يصعد ومعه مينو والرشيدى) .

(يخرج فردييه وبلانش إلى داخل البهو . ويتهاشم

مينو والرشيدى فى ناحية ثم تظهر زينب فيتصدى لها

الرشيدى ، ويتجه مينو ناحية فرانسواز ليجلس معها
على مقعدين متجاورين) .

- الرشيدى : زينب .
زينب : (بغير اكتراث) ماذا تريد ؟
الرشيدى : نظرة منك تسعد قلبى .
زينب : وأنا أريد منك معروفا .
الرشيدى : على العين والرأس . اقترحى يا حبيبتى ما تشائين .
زينب : أن تتركنى وشأنى .
الرشيدى : لقد خطبتك إلى أيلك فوافق .
زينب : صحيح ؟ إلى أهنتك .
الرشيدى : لكن بقى أن توافقى أنت .
زينب : هذا ما لا سبيل إليه .
الرشيدى : من أجل بونايرت أم من أجل محبى الدين ؟
زينب : بل من أجلك أنت .
الرشيدى : ماذا يعينى عندك ؟
زينب : ماذا لا يعيك عندى ؟
الرشيدى : سوف تندمين يا زينب .

(يظهر محبى الدين)

- الرشيدى : سترين .
(يحاول ستر هزيمته بالانضمام إلى مينو وفرانسواز)
(تمضى زينب إلى محبى الدين فيقفان فى ركن)

- يتها مسان) .
- مينو : (ممازحا كأنها ليتغلب على القلق الخفى المسيطر عليه)
 اسمع يا صهرى العزيز . لا تحاول أن تسرق منى بلانش كما
 حاولت أن تسرق زينب من محبى الدين .
- الرشيدي : (يحاربه فى المزاح لنفس الغرض) هذه ليست لى ولا
 لك . هذه للقائد العام .
- مينو : بل هى منذ اليوم لى . أليس كذلك يا شقراى الحلوة ؟
- فرانسواز : ما خطبك يا جنرال مينو ؟ أنسيت أننى متزوجة ؟
- مينو : صحيح . أنت لزوجك أولا ثم لى .
- (يعود فردييه وبلانش فينضممان إلى محبى الدين
 وزينب حيث يتحادثون)
- (تسمع صيحة مزعجة من جانب الحديقة يرتج لها
 السامعون) .
- الصيحة : إلى أيها الحارس . إلى أيها الحارس .
- بلانش : هذا صوت الجنرال كليبر .
- مينو : (يتصنع الهدوء والتجاهل) ماذا يريد من الحارس ؟
- سليمان : (صوته) خذها منى يا عدو الله .
- كليبر : عليكم بالهجرم . القاتل .
- (ينطلق فردييه ومحبى الدين خارجين)
- سليمان : (صوته) وخذ أنت أيضا .
- بروتان : (صوته) آى . اقبضوا على القاتل .

مينو : هذا صوت بروتان .
(ينطلق هو والرشيدي خارجين) .
سليمان : (بأعلى صوته) أنا سليمان الحلبي . قتلت كليبر .
جئت من حلب . وقتلت كليبر . أنا سليمان الحلبي .
(تقف النسوة الثلاث كأنما شلت حركتهن من
الرعب) .
(يدق النفير العام وتتجاوب أصداؤه في كل
مكان) .

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر : نفس المنظر كما في الفصل الأول
(يرفع الستار عن زبيدة وعندها زينب)

- | | |
|-------|--|
| زبيدة | : كلا يا زينب لقد ضقت ذرعاً به . |
| زينب | : يجب أن تصبري يا زبيدة . |
| زبيدة | : لقد صبرت حتى عيل صبري . ألا ترين كيف أصار
البيت إلى معرض للجوارى من كل لون . |
| زينب | : تغارين عليه ؟ |
| زبيدة | : كلا بل أشمئز من سلوكه . |
| زينب | : لا تنسى يا أختي أن هذا حال الأزواج عندنا إذا صاروا
من ذوى الغنى واليسار . حتى علماؤنا وشيوخنا
يفعلون ذلك . |
| زبيدة | : لكنه ليس من رجالنا ولم ينشأ عندنا . |
| زينب | : أراد أن يتشبه بهم ويتطبع بطباعهم . احمدي الله على أنه
اقتصر على الجوارى ولم يتزوج عليك . |
| زبيدة | : أراك تدافعين عنه . |
| زينب | : لا يصح أن نلومه هو وحده . يجب أن نصلح هذا النظام |

كله من أساسه حتى يكون للمرأة عندنا حقوقها مثل الرجل .

زبيدة : أنا لا أريد أن أكون مثله . أريد فقط أن يحترم شعورى .

زينب : لن يحترم شعورك أبدا ما لم تكونى مثله .

زبيدة : هذا طلب بعيد المنال يا زينب .

زينب : علينا أن نطالب به فإن لم يتحقق فى جيلنا هذا ففى الأجيال القادمة .

زبيدة : وما شأنى أنا بالأجيال القادمة ؟

زينب : لا يستحق أن يعيش فى الحاضر من لا يهتم بالمستقبل .

زبيدة : وكيف يهتم بالمستقبل من يستغرقه همّ الحاضر ؟

ألا ترين ما أنا فيه ؟ لقد بليت بهذا الرجل بلاء شغلنى عن كل شىء .

زينب : هل أكرهك أحد على الزواج منه ؟

زبيدة : لا .

زينب : ألم تقبله بمحض إرادتك ؟

زبيدة : بلى .

زينب : فتحملى تبعه اختيارك بكل شجاعة وصبر .

زبيدة : لكننى خدعت فيه .

زينب : هو اختيارك على كل حال .

زبيدة : هبى صبرت على جواريه . فكيف أصبر على خليلته

فرانسواز ؟

- زينب : هذا دأب هؤلاء القوم . قلما يخلو أحدهم من خليلته .
زبيدة : إلى جنب زوجته ؟
زينب : نعم . لقد تزوجنى بونابرت وكانت خليلته مدام
فوريه .
زبيدة : لكن بونابرت لم يتخذ الجوارى والسرارى . أما هذا
فقد جمع عيوب رجالنا إلى عيوب رجالهم .
زينب : من حقلك على كل حال أن تطرديها من بيتك فأنت
صاحبة البيت .
زبيدة : قد فعلت فغضب منى وهاجرنى .
زينب : تمسكى بحقلك ولا تبالى بغضبه .
زبيدة : لكنه صار يتصل بها خارج البيت .
زينب : اخرجى معه ورافقيه أينما ذهب .
زبيدة : هذا يصحبها إلى ملهى التيفولى .
زينب : اصحبيه إلى الملهى .
زبيدة : والحجاب .
زينب : اخلعيه عنك .
زبيدة : كلا يا زينب .. لا أستطيع .
زينب : ماذا يمنعك ؟
زبيدة : خوف الملامة .
زينب : لن يلومك أحد . أنت زوج القائد المسلم وهو معك .
زبيدة : وأهل يا زينب وأقاربى ؟

- زينب : ما شأنهم بك ؟
زبيدة : سيعتبرون ذلك فضيحة لهم وعارا عليهم
زينب : لا تبالى بهم فلن يقدرُوا أن يمسوك بسوء .
زبيدة : كلا لا أستطيع يا زينب ، لا أستطيع .
زينب : إذن فاصبرى على حالك وتجاهلى ما يكون من زوجك خارج البيت .
زبيدة : كيف أتجاهل شيئا أنا على يقين منه ؟
زينب : لكى تعيشى فى طمأنينة وسلام .
زبيدة : لا سلام ولا طمأنينة إلا إذا طلقنى .
زينب : بعد ما صار لك ابن منه ؟
زبيدة : لا بهم .
زينب : وإذا أخذه منك أتصبرين ؟
زبيدة : كلا لن أدعه يأخذ منى سليمان أبدا .
زينب : لن تقدرى أن تمنعيه .
زبيدة : يا ليتنى ما تزوجته .
زينب : قد تزوجته وانتهى الأمر .
زبيدة : ما كنت أعلم أنه بهذا السوء .
زينب : فى وسعك أن تجدى فيه خيرا فتشعرى بالرضا ، إذا ظفرت منه بشيء فى خدمة بلادك .
زبيدة : تعنين إنشاء جيش الشعب ؟
زينب : نعم .

- زبيدة : ما خطبك يا أختي ؟ ألم أقل لك مرارا إنه لا يقبل هذه
الفكرة أبدا ويعدّها خطرا عليه وعلى جيشه ؟
- زينب : حاولي مرة أخرى . قولي له إن هذا الجيش سيكون
سياجا له دون هجوم الإنجليز من الشمال وغارات
العثمانيين من الشرق .
- صوت : (من الخارج) زبيدة . زبيدة .
- زبيدة : نعم . هذا أخى .
- الرشيدى : هل عندك أحد ؟
- زبيدة : عندى زينب البكرى .
- الرشيدى : أنعم وأكرم . (يدخل) أهلا وسهلا بالجمال
والكمال . أى حظ سعيد ساقنى اليوم إلى بيتك
يا زبيدة !
- زبيدة : (فى شيء من الضيق) يا على يجب أن تعلم أن زينب
صديقتى وأن ما يغضبها يغضبنى .
- الرشيدى : سبحان الله وهل قلت شيئا يغضب ؟
- زبيدة : هذا الإلحاح عليها بالزواج بعدما رفضتكَ مائة مرة .
- الرشيدى : ما يدريك يا أختى لعلها ترقى لى فى المرة الواحدة بعد
المائة . أليس كذلك يا زينب ؟
- زبيدة : لا تردى . أنا التى سأتولى الرد عليه .
- الرشيدى : سبحان الله . أنت لست وكيلتها يا زبيدة .
- زبيدة : أنا أكثر من ذلك . أنا صديقتها وأختها الكبرى .

- الرشيدى : وأنا أخوك الأصغر .
- زبيدة : لا تتعب نفسك . إنها مخطوبة لابن عمها محبى الدين .
- الرشيدى : لكننى خطبتها من أبيها ومن أمها فرحبا بى ، ولم يذكر
أحد منهما قصتها مع محبى الدين .
- زبيدة : أنت تعلم أن العلاقة بينها وبين أبويها سيئة .
- الرشيدى : بسبب سفورها وخروجها على التقاليد .
- زبيدة : نعم .
- الرشيدى : فقد تعهدت لهما إذا تزوجتها أن أعيدها إلى ما كانت
عليه .
- زبيدة : إلى الحجاب وحياة الحريم ؟
- الرشيدى : نعم .. لقد أصبحت اليوم عضوا فى الديوان ، ففى
وسعى أن أسكنها قصرا خيرا من قصرك هذا وعندها
الخدم والحشم .
- زبيدة : ما أصغر عقلك . أوتظن أن هذا هو ما تريده زينب ؟
- الرشيدى : فلتخبرنى ماذا تريد وأنا أحقق لها ما تريد .
- زينب : أصادق أنت فيما تقول ؟
- الرشيدى : إى والله يا زينب والمصحف الشريف .
- زينب : اتركنى إذن وشأنى فلا أنت تصلح لى ولا أنا أصلح
لك .

(تدخل إحدى الجوارى)

الجارية : السيد محبى الدين . أفى يسأل عن ابنة عمه .

- زبيدة : قولى له يتفضل . (تخرج الجارية) .
- الرشيدى : لأخطبها من محبى الدين نفسه .
- زبيدة : لا تكن أحق . (تنسحب إلى الداخل) .
- الرشيدى : إن لم تنفع الحكمة فربما تنفع الحماسة .
- (يدخل محبى الدين)
- زبيدة : (صوتها من وراء حجاب) مرحبا بك يا سيدى محبى الدين . أنت على الرحب والسعة .
- محبى الدين : شكرا لك يا سيدة زبيدة . معذرة يا سيد على ، هل أستطيع أن أكلم ابنة عمى على انفراد ؟
- زبيدة : (صوتها) تعال يا على . اتركها وحدها .
- الرشيدى : بعد أن يسمع منى كلمة واحدة .
- محبى الدين : هات .
- الرشيدى : يا سيد محبى الدين لقد خطبت زينب من أبيها فقبل ، ولكنها هى لم تستجب لرأيه . فزوجنى أنت إياها فأنت وليها الذى تسمع رأيه .
- محبى الدين : يا سيد على إن زينب حرة لا سلطان لأحد عليها ، وها هى ذى أمامك فكلمها أنت بنفسك . .
- الرشيدى : بل تريد أن أنت لنفسك ، وسواء لديك أن تسعد عندى أو تشقى عندك .
- محبى الدين : (يتجلد) ساعحك الله ! إنها مشغولة عن الزواج بما هو أهم عندها من الزواج ، ولولا ذلك لتزوجتها أنا من

- زمان .
- الرشيدى : كلا أنت لا تصلح لها إذ أخذها بونابرت منك دون أن
تحتج على ذلك . أما أنا فإني سأصونها ، ولو عاد
بونابرت وأرادها مرة ثانية لقاتلته دونها حتى أموت .
- زينب : هذه سماجة لا تطاق ، والله لولا مكان أختك زبيدة
عندى لفضحتك .
- زبيدة : (صوتها) يا على اتركها خيرا لك .
- الرشيدى : قالت إنها ستفضحنى . أريد أن أعرف كيف
تفضحنى .
- زبيدة : وأنا سأشهد عليك .
- زينب : خبرنى أين ذهب رdstون ؟
- الرشيدى : من رdstون ؟
- زينب : صديقك التاجر الإنجليزى فى رشيد .
- الرشيدى : ما يدرينى أين هو ؟
- زينب : لعله يعمل الآن جاسوسا للجنود الإنجليزية التى تغزو
الإسكندرية .
- الرشيدى : أنا لا أعرف عنه شيئا .
- زينب : يجب أن تسأل عن صديقك الحميم .
- الرشيدى : ماذا أصنع به ؟ لقد كان صديقى فيما مضى حين كنا فى
رشيد ، أما اليوم فلا صلة بينى وبينه .
- زينب : هو الآن موجود فى القاهرة . ألا تحب أن تلتقه ؟

- الرشيدى : كلا شأن لى به .
- (يسمع صوت الجنرال مينو قادما من الخارج فينسل الرشيدى خارجا من الباب الخلفى كأنه لا يريد أن يراه) .
- زينب : (بصوت خافض) أرأيت يا محبى الدين ؟ هذه قرينة جديدة .
- محبى الدين : بعد البرهان الواضح .
- فرانسواز : (صوته) أخيرا عدت إلى مقر القيادة العامة .
- مينو : (صوته) صه .
- زبيدة : (صوته) أجئت بها مرة ثانية يا عبد الله مينو ؟
- (تنسحب زينب ومحبى الدين إلى الجانب الأقصى من الرواق حيث لا يراها أحد ممن على المسرح) .
- (يدخل مينو وفرانسواز من جانب وتدخل زبيدة من جانب آخر) .
- زبيدة : يا هذا ماذا جاء بك ؟ ألم أمنعك من دخول بيتى ؟
- فرانسواز : هذا ليس بيتك . هذا بيت قائدنا العام الجنرال مينو .
- زبيدة : يرضيك يا سيدى أن تتحدانى هكذا فى بيتى ؟ هذه الأفاقة .
- فرانسواز : الأفاقة ؟
- مينو : فرانسواز ، ما خطبك ؟ لماذا لا تقولين لها الحقيقة ؟
- لماذا لا تقولين لها إنك جئت اليوم لتوديعى ؟
- فرانسواز : إنها بادرتنى بالإساءة . هذه امرأة لا يمكن التفاهم معها .

- زبيدة : وأنا لا أحب أن أتفاهم معك .
- فرانسواز : أوفوار جنرال مينو .
- مينو : أوفوار فرانسواز .
- (تخرج فرانسواز)
- مينو : ما هذا الذى صنعت ؟ أين آداب اللياقة ؟
- زبيدة : آداب اللياقة لا تكون مع أمثالها .
- مينو : إنما جاءت اليوم لتودعنى وتنصرف .
- زبيدة : إلى متى يودعك الناس كل يوم وأنت لا تتحرك ؟
- مينو : (يستشيط غضبا) اللعنة . أنت أيضا صرت كلييرية ؟
- زبيدة : كلييرية ؟
- مينو : هذا ما يقوله الكلييريون عنى .
- زبيدة : هم إذن على حق . كان عليك أن تسارع بالسفر إلى الإسكندرية أول ما بلغك ظهور السفن الإنجليزية فى مياهها ، لا أن تتردد وتسوف من يوم إلى يوم .
- مينو : (يلتفت إلى حيث تقف زينب مع محبى الدين) زينب أنت هنا ؟ كل هذا منك ؟
- زينب : منى ؟ ما ذنبى أنا يا سيدى الجنرال ؟
- مينو : أنت التى علمتها كل هذا . ما كانت هكذا قبل أن تصادقك .
- زينب : يا جنرال مينو كان ينبغى أن تسر إذ نصحتك زوجتك .
- مينو : كلاً لا حاجة لى إلى نصائحها ولا إلى نصائحك .

- ما للنساء والسياسة ؟
- زينب : أتوجه هذا السؤال إليّ ؟
- مينو : نعم .
- زينب : ما كنت لأقبل هذا السؤال حتى من والدى فكيف أقبله منك ؟
- مينو : لا تدخل في شئوني .
- زينب : هذه شئون بلدنا لا شئونك .
- مينو : قد جعلنا للبلد ديوانا فهو الذى ينظر في شئونه .
- زينب : الديوان الذى جعلت صهرك عضوا فيه ؟
- مينو : نعم . لو كان حظك حسنا لما رفضت الزواج منه .
- زينب : يا جنرال مينو لا أسمح لك أن تتدخل في شئوني الخاصة .
- مينو : عجباً . تبيحين لنفسك ما لا تبيحين لغيرك .
- زينب : يا جنرال مينو إني أكلمك في الشئون العامة لا في الشئون الخاصة ، وذلك من حقى ومن واجبى .
- زبيدة : يا سيدى ألا تسمع أولا ما عندها ، ولك أن تقبل بعد ذلك أو لا .
- مينو : عندك شئ جديد ؟ هاتى .
- زينب : قل له يا محبى الدين بنفسك .
- (تسحب زبيدة إلى حيث تقف وراء حجاب ويتقدم محبى الدين مقتربا من مينو) .
- محبى الدين : يا سيدى الجنرال لقد تبين الآن لماذا حرص الإنجليز على

نقض معاهدة العريش .

مينو : لماذا ؟

محيى الدين : ليتاح لهم بعد ذلك أن يحتلوا بلادنا مكانكم .

مينو : ما جئتني بجديد . هذا ما يردده الكلييريون .

محيى الدين : لا شأن لنا بالكلييريين . ولكن ألا تحب يا جنرال مينو أن

تهزم هؤلاء الإنجليز ، وتبطل كيدهم ؟

مينو : هذا ما أعمل من أجله .

محيى الدين : إنك ما ترددت حتى اليوم لملاقاتهم إلا أنك تخشى إذا

ما تركت القاهرة أن ينقض عليها العثمانيون من الشرق .

مينو : أجل هذا صحيح .

محيى الدين : فماذا ترى لو كفييناك نحن أمر العثمانيين لتفرغ جنودكم

جميعا لقتال الإنجليز بالساحل ؟

مينو : هيه .. لعلك تعنى تلك الفرق التى أطلقت عليها اسم

جيش الشعب ؟

محيى الدين : نعم .

مينو : كأنكما ما زلتما على صلة بها ؟

زينب : نعم .

مينو : ألم آمر بحل هذه الفرق من قبل ؟

زينب : فى وسعنا أن نجتمعها ولكن ليس فى وسعنا أن نحلها .

مينو : نهتمانى . والله لا يقرلى قرار حتى أقضى عليها فلا يبقى لها

وجود .

زبيدة : يا سيدى لم تتركب رأسك ؟ ألا ترى اليوم أن بقاءها فى مصلحتك ؟ إنها ستكفيك أمر الأتراك فلا يبقى أمامك غير الإنجليز .

مينو : كلا لا أستعين على أعداء يأتوننا من الخارج بأعداء ينبتون لنا من الداخل .

(يدخل فردييه وبلانش فيتبادلان التحية مع الحاضرين ، وتدخل بلانش إلى حيث تقف زبيدة خلف الحجاب) .

(يتهامس محبى الدين وزينب جانبا كأنهما يتفقان على تدبير خطير) .

فردييه : جئنا نستودع منك يا جنرال مينو .

مينو : متى قررتما السفر ؟

فردييه : الساعة .

مينو : فى هذه الظروف الصعبة ؟

فردييه : فى سبيل العودة إلى الوطن يهون كل شيء .

مينو : هذه مخاطرة .

فردييه : والبقاء هنا أيضا مخاطرة .

مينو : أنت أيضا مع هؤلاء الكليريين على ؟

فردييه : كلا لا شأن لى الآن بالسياسة . كل ما تريده بلانش وأنا

أن نصل إلى فرنسا بسلام .

مينو : ترافقكما السلامة .

- فرديهه : فرقتى تتمنى لك النصر والتوفيق .
- مينو : أنت رجل كريم يا فرديهه . ولن أنسى موقفك النبيل منى أبدا . انتظر حتى أحملك رسالة إلى القنصل الأول بونابرت . (يخرج) .
- (يدنو فرديهه من محبى الدين وزينب وتدخل بلانش فتضم إليهم) .
- زينب : لم نستطيع أن نقنعه بخطة جيش الشعب .
- فرديهه : قد قلت لكما إنه لن يرضى . هذا رجل يشك فينا نحن الفرنسيين فكيف يثق فى المصريين ؟
- بلانش : اسمعى يا زينب وأنت يا محبى الدين . لن ندعكما حتى تسافرا معنا . إن كنتما لا تريدان فرنسا فإلى أى بلد آخر فى أوروبا .
- زينب : شكرا لك يا مدام فرديهه لا سبيل إلى ذلك .
- بلانش : فى بقائكما خطر عليكما ، وعليك أنت يا زينب خاصة .
- فرديهه : أجل يا زينب . إن العامة لن يغفروا لك خروجك على تقاليدهم وسيتهمونك بأبشع التهم .
- بلانش : لقد أدبنا ما عليكما لقومكما وبلادكما ، ولن تقدرا أن تقدما أكثر مما قدمنا ، فأنجوا بأنفسكما وعيشا مع الغائبين .
- زينب : ماذا ترى يا محبى الدين ؟

محيى الدين : اذهبي أنت معهما يا زينب ، وسأبقى أنا وأواصل الكفاح بالنيابة عنك .

زينب : كلا يا ابن عمى لن أتركك وحدك .

محيى الدين : الخطر عليك يا ابنة عمى أكبر من الخطر على .

زينب : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

(يعود مينو فيسلم لفرديه الرسالة)

فرديه : الوداع يا جنرال مينو .

مينو : الوداع .

فرديه : (لزينب ومحيى الدين) إلى أين ؟

زينب : سنشيعكما حتى المركب .

بلانش : وداعا يا زبيدة .

زبيدة : (صوتها) وداعا يا بلانش .

(يخرج الأربعة)

مينو : (ينظر إلى زبيدة مليا وهي كالغاضبة ثم يدنو منها)

زبيدة .

زبيدة : (لا تحيب) ...

مينو : أم سليمان .

زبيدة : ماذا تريد ؟

مينو : رضاك .

زبيدة : وهل أبقيت في قلبي موضعا للرضى ؟

مينو : من أجل هذه الحمقاء فرانسواز ؟

- زبيدة : لا يليق أن تجيء بها إلى البيت .
- مينو : أظنها لن تجيء إلى البيت مرة أخرى .
- زبيدة : وهؤلاء الجوارى اللاتي ملأت بهن البيت ؟
- مينو : لا يصح أن تعيش امرأتى دون جوارى يخدمنها .
- زبيدة : يخدمننى أم يخدمنك ؟
- مينو : يخدمننا معا . يقولون إن هارون الرشيد كان له ألف جارية .
- زبيدة : وهل أنت هارون الرشيد ؟
- مينو : سأكون أنا سلطان المسلمين يا زبيدة ، وستكونين أنت سلطانة .
- زبيدة : تذكر أن بونابرت قد طمع فى ذلك فلم ينجح .
- مينو : أنا أصلح لهذا المنصب منه . أنا من بيت عريق وزوجتى من بيت عريق ، وأنا أسلمت وهو ادعى الإسلام ولم يُسلم . ومن محاسن الصدق أن اسمك زبيدة بنت جعفر زوج هارون الرشيد .
- زبيدة : سبحان الله .. الأرض تتزلزل تحت قدميك وأنت تحلم هذه الأحلام .
- مينو : لا تصدق هذه الأراجيف . سوف ترين كيف ألقى بالإنجليز فى البحر وأشتت جميع العثمانيين ليموتوا فى الصحراء .
- زبيدة : هذه أحلام أخرى .

- مينو : زبيدة . لا تدعى زينب تفسدك على .
- زبيدة : وما شأنى فى هذا ؟
- مينو : إنها تحسدك . تذكرى أنها كانت تطمع أن تكون هى السلطانة .
- زبيدة : كان بونابرت يمنىها بذلك ، وقد ذهب بونابرت فنسيته ونسيت أحلامه .
- (يدخل الرشيدى يحمل معه صورة كاريكاتورية)
- مينو : ما هذا الذى بيدك ؟
- الرشيدى : (يضحك) هذه صورتك يا سيدى ممتطيا صهوة جواد .
- زبيدة : (تنظر وتضحك) والجواد فوق ظهر سلحفاة .
- الرشيدى : والسلحفاة تسير ببطء نحو الإنجليز .
- مينو : (فى غيظ من ضحكها) وهذه أنت وابنتك سليمان راكبين على جمل .
- زبيدة : قاتلهم الله . حتى البرقع لم ينسوه . وما هذه يا ترى ؟
- مينو : هذه أوالى مطبخك .
- زبيدة : لكنها فى صورة مدافع .
- مينو : ألم تفهمى ماذا يعنون ؟
- زبيدة : بلى فهمت الآن . يعنون أنها مدافعك .
- (تضحك ويضحك الرشيدى)
- مينو : (غاضبا) كفى ! من أين جئت بهذه الصورة ؟

- الرشيدي : اخذتها من أحد الجنود يا سيدي .. كانوا يتداولونها بينهم .
- مينو : (ينظر في الصورة) مطبوعة في مطبعة لو كورييه دي لييجيت . ويل لهم .
- (ينادي) يا حاجب .
- الحاجب : نعم يا سيدي الجنرال (يدخل)
- مينو : انطلق إلى جريدة لو كورييه دي لييجيت . قل لهم يحضروا رئيس التحرير والمصورين في الحال .
- الحاجب : هنا يا سيدي الجنرال ؟
- مينو : نعم .
- (يخرج الحاجب ثم يعود)
- الحاجب : الجنرال رينييه يا سيدي والجنرال داماس والجنرال لانوس .
- مينو : اللعنة . ماذا يريدون ؟ قل لهم يدخلوا وانطلق أنت في مهمتك .
- (يخرج الحاجب وتنسحب زبيدة إلى الداخل ثم يدخل الجنرالات الثلاثة) .
- الثلاثة : صباح الخير .
- مينو : صباح الخير ماذا تريدون .
- (يطبق الصورة ويتاولها للرشيدي)
- رينييه : أهذه الصورة الكاريكاتورية ؟

(يضحك ويضحك الآخرون)

- مينو : أين رأيتموها ؟
رينيه : متداولة بأيدي الناس في كل مكان .
مينو : هيه كأنكم من أجلها جئتم . من الذى رسمها منكم ؟
الثلاثة : نحن لسنا رسامين .
مينو : من الذى أوحى بالفكرة ؟
لأنوس : أنت .
مينو : ماذا تعنى ؟
لأنوس : المعنى واضح .
مينو : لو بقى لديكم شيء من كرامة الجندية لما سمحتم لرجالكم أن يتكلموا بقائدهم الأعلى على هذه الصورة المزرية .
داماس : وهل أبقيت أنت لأحد شيئاً من كرامة الجندية ؟
مينو : يا إلهى .. ماذا فعلت حتى أستحق منكم هذه الكراهية ؟
داماس : ألا تدري ماذا فعلت ؟ ألم تعزلنى من منصبى فى الجيش بغير محاكمة ؟
مينو : لأنك اتهمتنى بأنى اشتركت فى قتل كليبر .
داماس : أنا ما زلت حتى اليوم أتهمك ، فحاكمنى إن كنت واثقاً فى براءتك .
مينو : أنا لا أريد أن أثير فتنة فى الجيش من أجل تهمة باطلة ليس عليها دليل .

داماس : أكبر دليل عليها أنك ما زلت حتى اليوم تكره كليبر
وتنفر من ذكره ، وتحاول تلطيخ سمعته وتضطهد
أصحابه .

مينو : بلى أصحابه هم الذين يضطهدوني ويأثمرون ضدى .
لأنوس : إنك لا تدع فرصة للإساءة إلى ذكرى كليبر إلا

انتهزتها ، حتى سميت ابنك سليمان على اسم قاتله .
مينو : يا قوم أنا سميت ابنى سليمان مراد ، ولم أسمه سليمان
الخلبي .

لأنوس : هل ضاقت الأسماء عليك فلم تجد غير هذا الاسم ؟
داماس : بل لقد بلغنا أنك تصرح بذلك فى مجالسنا الخاصة ،
وتقول إن سليمان الخلبي يستحق أن يقام له تمثال بدلا
من الخازوق الذى وضع عليه .

مينو : هذا كذب وبهتان .
داماس : لا تحاول أن تخدعنا . إن أخبارك تصل إلينا أولا بأول .
مينو : قولوا ما شئتم فلن تستطيعوا أن تنكروا الحقيقة البازغة

بزوغ الشمس ، وهى أن كليبر إنما قتله غروره وصلفه
وتجبره على المصريين وتطاوله على كبرائهم وشيوخهم .
وطالما نصحته وحذرتة وأنذرتة فلم يستمع لنصيحتى .
داماس : أنكرت عليه قسوته على السيد السادات إذ حبسه
وغرمه غرامة كبيرة . أليس كذلك ؟

مينو : نعم وأمورا أخرى كثيرة .
« مأساة زينب »

- داماس : خيرنى لماذا أبقيت السادات فى سجنه بعدما صار الحكم إليك ؟
- مينو : ليدفع ما بقى عليه من الغرامة .
- داماس : لكنك كنت تنكر على كليبر تحميله تلك الغرامة .
- مينو : لم أستطع أن أسقطها عنه لحاجتنا إلى المال .
- داماس : ودفع الغرامة التى عليه ؟
- مينو : نعم .
- داماس : فلم أعدته إلى السجن مرة أخرى ؟
- مينو : على سبيل الاحتياط لئلا يحرض الناس علينا فى هذه الأيام العصيبة .
- داماس : أنت إذن كاذب إذ تتحدث عن طغيان كليبر وجبروته وأنت تصنع مثله .
- رينيه : دعونا يا قوم من هذا كله ولنتكلم فيما جئنا من أجله .
- مينو : ماذا بقى عندهم من كلام ؟
- رينيه : إلى متى نترك الجنرال فريان يدافع الإنجليز وحده فى الإسكندرية ؟
- لأنوس : ألم يستنجد بك مرة بعد مرة ؟
- داماس : أما الآن لك أن تتحرك بالجيش إليه ؟
- مينو : هذا يطلب منى أن اتوجه بالجيش كله إلى الإسكندرية .
- رينيه : هو على حق فيما طلب .
- مينو : وأترك القاهرة بغير دفاع ليستولى عليها العثمانيون ؟

- رينيه : الخطر اليوم على الإسكندرية لا على القاهرة .
- مينو : القاهرة هي العاصمة فالخطر عليها أكبر .
- رينيه : لقد أضعت تسعة أيام وأنت تتوقع زحف العثمانيين من الشرق ، وتترك سفن الإنجليز تهاجم الإسكندرية ليلاً ونهاراً وتصلها ناراً حامية .
- مينو : ما كنت أعلم أن العثمانيين سيتأخروا زحفهم حتى اليوم .
- داماس : بلى أنت جبان . تريد أن تبقى هنا بالقاهرة لتكون بمأمن من أخطار القتال .
- مينو : كذبت .
- داماس : هذا دأبك في كل حين . كل أفراد الجيش يعرفون ذلك .
- رينيه : (في سخرية خفية) لو كان قائدنا العام يخشى الموت لأسرع إلى الإسكندرية فراراً من الطاعون الذي انتشر في القاهرة .
- مينو : أجل فهمه يا جنرال رينيه .
- داماس : أنت تخاف الإنجليز أكثر من الطاعون ، وتؤثر ميتة الكلاب على ميتة الأبطال .
- مينو : يا هذا بأى حق تكلمنى الآن وأنت معزول ؟
- داماس : أنا لا أعترف بهذا العزل . فليس لك أن تعزلى إلا بعد محاكمتى أمام مجلس عسكري .
- (يدخل أحد الجنود فيؤدى التحية العسكرية ثم يناول مينو رسالة) .

- رينيه : من الإسكندرية ؟
الجندي : نعم .
مينو : (كالمضايق) انصرف الآن حتى أبعث لك (يفض الرسالة ويتصفحها) .
(يخرج الجندي)
- رينيه : من الجنرال فريان ؟
مينو : نعم .
رينيه : ماذا ينوي ؟
مينو : (في اكتاب) ينوي أنه لم يستطع أن يصد الإنجليز وأنهم نجحوا في إنزال قواتهم بالبر
رينيه : ألم نقل لك ؟
لانوس : ماذا أنت صانع الآن ؟
داماس : (ساخرا) سيتحصن بجنوده في القاهرة حتى يمنع الإنجليز من دخولها .
مينو : هذا كل ما تحسنونه في ساعة الجد .. السخرية .
داماس : وماذا تنتظر منا بعد كل الذي فعلته غير السخرية ؟
لانوس : أنت الذي مكنت الإنجليز من النزول .
مينو : هكذا أنتم دائما معشر الكليبريين . تتصلون من التبعة التي عليكم وتلقونها على .
داماس : وهذه التبعة أيضا نريد أن تلقى علينا ؟
مينو : أوقد نسيت معاهدة العريش ؟

- الثلاثة : ما بالها ؟
- مينو : هي التي جرأت الإنجليز علينا وأطمعتهم في إخراجنا من هذه المستعمرة ، ليجعلوها مستعمرة لهم .
- لأنوس : تريد أن تقول إن كليبر هو المسئول ؟
- مينو : نعم .
- لأنوس : ولذلك لا تريد أن تواجههم اليوم أو تحاربهم حتى تكون التبعة كلها على كليبر ؟
- مينو : كلا . لأتوجهن إليهم وأقاتلنهم .
- رينيه : متى ؟
- مينو : الليلة .
- داماس : وتترك العاصمة ؟
- مينو : (في امتعاض) سأترك بها ألف جندي للدفاع عنها .
- لأنوس : بقيادة من ؟
- مينو : بقيادة الجنرال بليار . لا تلوموني . أنا لا أثق إلا فيه .
- لأنوس : أنا أفضل أن أقاتل الإنجليز معك .
- رينيه : وأنا كذلك .
- مينو : كلا يا جنرال رينيه . أنت تتوجه إلى بلبس والصالحية .
- رينيه : ماذا أصنع في بلبس والصالحية .
- مينو : لتصد العثمانيين عن القاهرة .
- رينيه : أنت بحاجة إلى وجودي في الإسكندرية .

- مينو : أنا بحاجة إلى وجودك في بلبس والصالحية .
- رينيه : أنت إذن تريد إبعادى هناك لأنك لا تطيقنى .
- مينو : لقد مُررت بكم . لو أنى أرسلت غيرك إلى بلبس وأبقيتك معى لاعترضت أيضا على ذلك . لا شىء يرضيكم منى أبدا .
- رينيه : يا جنرال مينو أنت تعرف أن ما تقوله غير صحيح . إلى أطالب بوجود سائر القواد معك في معارك الشمال لا بوجودى أنا وحدى .
- مينو : سائر القواد ؟
- رينيه : نعم .
- مينو : ومعهم فرقهم ؟
- رينيه : بالطبع .
- مينو : ونحلى الصعيد والمراكز الأخرى ؟
- رينيه : نعم لا يصح أن نبقىهم مبعثرين في أرجاء البلاد وأنت بحاجة إليهم في هذه المعارك الفاصلة .
- مينو : أتوافقانه على هذا الرأى ؟
- داماس : نعم .
- لانوس : هذا هو الرأى السديد .
- مينو : كلا لن أخلى الصعيد والمراكز الأخرى أبدا . ما أراكم تبغون إلا أن تم على يدى الهزيمة .
- رينيه : ماذا تقول ؟ أنبغى هزيمة يلحقنا عارها جميعا ؟

- مينو : لتؤكدوا بها انتصار كليبر في معركة عين شمس .
- لأنوس : كليبر . كليبر . ليس في ذهنك غير كليبر .
- داماس : هذيان القاتل باسم القتل .
- مينو : القاتل هو سليمان الحلبي .
- داماس : ليس هو وحده بل له شركاء كثيرون .
- مينو : (صائحا) كفى . أنا القائد العام . لا أريد أن يجادلني أحد أو يعصيني أحد . على أن أمر وعليكم أن تطيعوا .
- رينيه : التبعة إذن عليك أنت وحدك .
- مينو : أجل . التبعة على وحدي .
- (تسمع ضوضاء . من الخارج من بعيد)
- الثلاثة : ما هذا ؟
- مينو : لعلهم جاءوا بالمصورين لأعاقبهم .
- داماس : أتعاقبهم على إعلان الحقيقة ؟
- مينو : ليتعلموا كيف يحترمون القائد العام .
- (يدخل الحاجب)
- الحاجب : يا سيدى الجنرال لم أجد أحدا في دار الجريدة لا رئيس التحرير ولا المصورين .
- مينو : أين ذهبوا ؟
- الحاجب : لا أحد يعلم .
- مينو : ألم تسأل من هناك ؟

- الحاجب : لا أحد هناك . الدار مقفلة .
(تتعالى الضوضاء حتى تقترب)
مينو : ما هذه الضوضاء إذن ؟
الحاجب : لست أدرى يا سيدى الجنرال .
مينو : اخرج فانظر . (يخرج الحاجب) .
(تتضح أصوات الجماهير وهى تردد : الجاسوس .
الجاسوس) .
(يدخل محبى الدين وزينب فيدهش الحاضرون)
زينب : أيها السادة قد قبضنا لكم على الجاسوس الإنجليزى
ردستون .
(يتغير وجه مينو . ويضطرب الرشيدى)
رينيه : أين هو ؟
زينب : أيها الرجال ادخلوا به .
(يدخل ثلاثة من العميان من أتباع الجوسقى يسوقون
ردستون وهو مكتف ويدفعونه إلى وسط المسرح ثم
ينسلون خارجين كأنهم أشباح) .
(يقترب الرشيدى من مينو ويحاوله مسدسا فى
خفية) .
مينو : أين وجدتموه ؟
زينب : وجدوه عند القلعة يتجسس .
ردستون : (يلحظ مينو يصوب المسدس نحوه) كلا لا تقتلنى

يا جنرال مينو .
لأنوس : لا تقتله يا جنرال .
رينيه : انتظر حتى نستنطقه .
مينو : (يفرغ ثلاث رصاصات في صدره) ليس للجاسوس
عندنا إلا الموت .
(يسقط رءسوتن ميتا على الأرض ويقع ارتباك في
المجلس وتتطلع زبيدة من خلف الحجاب . وينظر
بعضهم إلى بعض مبهوتين) .
داماس : الآن انكشف الغطاء . الآن اتضح كل شيء :

(ستار)

الفصل الرابع

في منزل والدة زينب بحى الجودرية .
جانب من الفناء الداخلى فى وسطه فسقية .
يظهر فى الجانب الأيمن من المسرح جزء من
الرواق الذى يحيط بالفناء . تمتد به أريكة مكسوة
بأخمل عليها الوسائد والمساند . بابان أحدهما فى
أقصى المسرح يؤدى إلى داخل المنزل والآخر فى أدنى
المسرح يؤدى إلى الخارج .

الوقت : صباح يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٠١
(عند رفع الستار نرى زينب فى الرواق وأمامها
أحد العميان) .

زينب	: تكلم الآن يا حافظ لا أحد عندنا .
حافظ	: اختطفنا البارجة ثلاثة من عساكر الإنجليز فى الجيزة فقتلناهم .
زينب	: عظيم . والجثث أين ألقيت بها ؟
حافظ	: بقرب المعسكر العثماني .
زينب	: هلا ألقيتموها هذه المرة بقرب معسكر المماليك حتى يتهمهم الإنجليز أيضا كما اتهموا الفرنسيين والعثمانيين من

قبل ؟

- حافظ : الواقع يا سيدتى أن الممالك لم يكونوا في خطتنا .
- زينب : الممالك أهم لأن الصلوات بينهم وبين الإنجليز أوثق .
- حافظ : في المرة القادمة إن شاء الله .
- زينب : في المرة القادمة ؟ .
- حافظ : نعم .
- زينب : وإذا وقع لى شىء يا حافظ .
- حافظ : كفى الله الشر .
- زينب : يجب أن نواجه الأمور بشجاعة .
- حافظ : سنسند الأمر إلى محبى الدين ابن عمك .
- زينب : أصبتم .
- حافظ : ليس عندنا غيره .
- زينب : أوصيكم به خيرا فهو شاب طيب ولا عيب فيه إلا رفته
ولينه ودمائة أخلاقه . ليس فيه مضاء شيخكم
الجوسقى ولا صرامته ولا دهاؤه ، ولكن ستجدون فيه
الإخلاص والتواضع والصبر والإنسانية .
- حافظ : اطمئنى فسيجد منا كل احترام وطاعة .
- (يتحرك لينصرف فتشيعه زينب إلى الباب)
- زينب : خذ هذا لأم داود (تناوله كيسا من النقود) قل لها أنا
فى انتظارها لتزورنى الساعة .
- حافظ : سمعا يا سيدتى (يخرج) .

(تدخل أم زينب)

أم زينب : زينب . ماذا كان الأعمى يقول لك ؟
زينب : لا شيء . أعطيته شيئاً لأم داود وأمرته أن يدعوها
لزيارتنا .

أم زينب : والجثث ؟

زينب : سمعت يا أماه ؟

أم زينب : سمعت كل شيء .

زينب : فاكتفى عنا يا أماه .

أم زينب : كل هذا ولا تريد أن تهربى أو تختبئى منهم ؟

زينب : لا جدوى يا أماه . إنهم جميعاً يطلبونى . الفرنسيون
والإنجليز والأتراك والمماليك ، حتى أبناء جلدتى
المصريون .

أم زينب : ذنبك يا بنتى . تحدّيتهم جميعاً فألبّتهم عليك .

زينب : فى سبيل الله يا أماه والله من ورائهم محيط .

أم زينب : حتى يحى الدين ابن عمك لم يسأل عنا اليوم .

زينب : سيحضر بعد قليل .

أم زينب : عادته أن يحضر من أول الصباح .

زينب : ذهب اليوم ليقابل الجنرال الإنجليزي هتشنسون .

أم زينب : ماذا يصنع عنده ؟

زينب : الجنرال الإنجليزي هو الذى دعاه لمقابلته .

أم زينب : لا بد أنه سينتقم منه لتلك الاغتيالات .

- زينب : صه .. لم يعلم سرها أحد .
- (يسمع قرع على الباب الخارجى)
- أم زينب : يا حافظ يا حفيظ . انظرى يا لطيفة من ؟
- لطيفة : (تدخل) السيدة زبيدة .
- زينب : (تنهض لاستقبالها) أهلا وسهلا . تفضلى يا زبيدة .
- زبيدة : (تدخل حاملة طفلها سليمان مراد) صباح الخير
- يا خالتى أم زينب .
- أم زينب : صباح النور يا بنتى .. تفضلى .
- زبيدة : لا وقت للجلوس . جئت لأستودع منكم . أنا راحلة
- بعد قليل .
- أم زينب : إلى أين ؟
- زبيدة : مع الجيش الفرنسى إلى رشيد .
- زينب : (تأخذ الطفل منها) اجلسى قليلا .
- زبيدة : أخى ينتظرنى أمام الباب .
- أم زينب : دعيه يدخل .
- زبيدة : كلا لا أريده أن يدخل . سأجلس عندكم لحظة
- (تجلس) زينب . أنصتى إلى .
- زينب : (تداعب الطفل وتقبله بحنان) يا حبيبى . ما أحلاه .
- زبيدة : دعيتا من الطفل . استمعى إلى فالوقت ضيق .
- زينب : نعم .. ماذا عندك ؟
- زبيدة : احزمى ثيابك وأشياءك وتعالى ارحلى معنا إلى رشيد .

- زينب : ماذا أصنع هناك ؟
- زبيدة : تأمنى على حياتك . أنت هنا فى خطر . قد أخذت لك
إذننا خاصا .
- زينب : ممن ؟
- زبيدة : من القائد العام الجنرال بليار .
- زينب : هذا سيسلمنى للإنجليز أو للأتراك .
- زبيدة : كلا يا زينب . إن من شروط الصلح التى اتفقوا عليها أن
لمن شاء من الأهالى المتصلين بالفرنسيين أن يرحل معهم
فى أمان .
- زينب : يا زبيدة يا أختى العزيزة أترضين لى أن أكون من صنائع
الفرنسيين أو حاشيتهم ؟
- زبيدة : أرضى لك ما أرضاه لنفسى .
- زينب : أنت زوجة قائدهم العام وأم ولده فلا حرج عليك ،
ولكنى كنت أسعى لتحرير البلاد منهم ومن غيرهم من
الغزاة والمحتلين .
- زبيدة : إنهم اليوم بسبيل الجلاء عن البلاد فما عادوا غزاة
ولا محتلين .
- زينب : كلا يا زبيدة .. إن خرجت معهم اليوم كنت كذلك
الخائن الجنرال يعقوب الذى لم يكتف بالخروج معهم
حتى أراد أن يكره أبناء ملته الأقباط على الخروج معه ،
فثاروا عليه وتركوه .

الرشيدى : (صوته) زبيدة . يا زبيدة . لقد تأخرنا . (يدخل
فتسحب أم زينب) .

زبيدة : (غاضبة) ما هذا ؟ أتدخل هكذا دون استئذان ؟
الرشيدى : أردت أن أسلم على زينب وأتزوّد بنظرة . هل استطعت
أن تقنعها بالسفر معنا ؟

زبيدة : لا شأن لك . اخرج وانتظرنى بره . إن دخلت مرة
أخرى فلن أقوم من مجلسى هذا ولو فاتتى الميعاد .
الرشيدى : حرام والله أن يروح هذا الجمال كله هدرًا بأيدي أولئك
الأجلاف . (يخرج) .

(تعود أم زينب)

زبيدة : سامحينى يا زينب . أنا خجلانة من تصرفه .
زينب : لا عليك يا أختى .. ليس ذنبك (تنظر نحو الباب)
أهلا أم داود . (تنهض لتستقبلها) تفضلى يا أم داود .
(تدخل أم داود حاملة طفلا صغيرا هو حفيدها
سليمان بن داود فتبادل التحية مع النسوة الثلاث ثم
تجلس) .

زبيدة : قد آن لى الآن أن أقوم .
أم زينب : كلا .. انتظرنى حتى يجيء الشراب .
زبيدة : لا داعى يا خالة .
أم زينب : لا بد أن تشربنى عندنا شيئا . الدنيا حر .
(تدخل الجارية لطيفة بصينية عليها أقداح من شراب)

- الورد فيشر بن ويشرب الطفلاق أيضا) .
- زينب : سبحان الله . ما أعجب تصاريف القدر ! كيف جمع
اليوم بيننا نحن السلطانات الثلاث . (تشير إلى نفسها
وإلى زبيدة وأم داود) .
- زبيدة : (تشير إلى أم داود) الهانم أيضا ؟
- زينب : هذه أم داود يا زبيدة . زوجة الشيخ الجوسقى الذى
حدثتك عنه .
- زبيدة : هى إذن السلطانة الأولى .
- زينب : أجل وهذا حفيدها سليمان .
- زبيدة : على اسم ابنى .
- زينب : وكلاهما كان مرشحا لولاية العهد .
- أم زينب : ونسيت الثالث يا زينب ؟
- زينب : من ؟
- أم زينب : ابنك الذى أسقطته .
- زينب : (يظهر فى وجهها الأسى) صحيح . قتلت ابنى
بيدى . لعنة الله على أبيه .
- زبيدة : (تهبط مستأذنة فتعانق زينب وهى تبكى) أنا لمن
أنسى أفضالك يا زينب ومواساتك لى فى أحلك ساعات
حياتى .
- زينب : أرجو لك التوفيق يا زبيدة .
- زبيدة : معه ؟ لا أظن يا زينب . إنه رجل أخرق . انظرى كيف

أغضب كبار قواده عليه حتى خسر معركة كانوب
برعونته وسوء قيادته ، ثم لم يشأ أن يعترف بهذا الصلح
الذى عقده بليار وبقي يقاتل وحده في الإسكندرية .

زينب : لا تيئسى . سيضطر هو أيضا إلى التسليم عما قريب .

زبيدة : زينب . إلى لأحتقر نفسى حين أنظر إليك . أين أنا

منك ؟ أنت في القمة وأنا في القاع السحيق . ليحرسك

الله يا زينب . (تحمل طفلها وتخرج) .

أم داود : أهذه زبيدة الرشيدية التى تزوجت الجنرال عبد الله

مينو ؟

زينب : نعم .

أم داود : والطفل ابنها منه ؟

زينب : نعم .

أم داود : طفل حلو .

زينب : ليس أحلى من سليمان بن داود . (تأخذه من حجر أم

داود فتناغيه وتقبله) ابنها وابنى كلاهما دخیل .

أما حفيدك هذا فهو الأصل .

أم داود : هاتيه لثلا يبول على حجرك . (تحاول أخذه منها

فيمتنع) .

زينب : لا يريد أن يفارقنى . انظرى إنه يبوسنى .

أم داود : الملعون . رآك أحلى منى فتعلق بك .

(تضحك النسوة الثلاث)

أم زينب : وأين أمه يا أم داود ؟
أم داود : طلقها داود من زمان .
أم زينب : لماذا ؟
أم داود : هي التي طلقته في الحقيقة ، لم تشأ أن تعيش معه بعد وفاة الشيخ .

أم زينب : وتركت ابنها لك ؟
أم داود : تزوجت رجلاً آخر فأخذنا ابنتها منها .
أم زينب : وداود ابنك ما شغله ؟
أم داود : (تضحك) ما شغله ؟
زينب : أمي لا تعرف عنه شيئاً .
أم داود : هذا غبي أبله لا يصلح لشيء .
زينب : (كالمعزية) البركة في سليمان يا أم داود . سيكون له شأن إن شاء الله . سمعت أن فيه ملاح من جده .
أم داود : نعم لقد تنبأت بذلك قبل أن يولد . قلت للشيخ إن الخلفة مثل الرؤيا تأتي على العكس . أنت ذكي فطلع منك هذا الأبله . وهذا الأبله سيطلع منه طفل ذكي مثلك . فضحك مني ذلك اليوم ولم يصدقني . يا ليتني عاش ليرى مصداق كلامي .

(يتضحكن)

زينب : رحمة الله على الشيخ الجوسقي . لقد سبق عصره .
أم داود : دعينا منه . لو كان فيه خير لما رفض السلطنة حين

- عرضها عليه بونا برته .
- زينب : تلك هي عظمته . ألى أن يرشوه بها حاكم أجنبى .
- أم داود : أليس جنونا منه .. أن يلطم بونا برته على خده ؟
- زينب : منتهى الشجاعة يا أم داود .
- أم داود : أى شجاعة يا بنتى ؟ لقد دفعه بذلك إلى قتله ، فصرنا يتامى من بعده .
- زينب : إن الله لا ينسى أبناء شهدائه وسيجعل لهم بعد عسر يسرا .
- أم داود : لولا معونتك لنا يا بنت الأكابر لضعنا فى هذا البلد .
- زينب : إنما ندفع بعض الدين الذى علينا للشيخ سليمان الجوسقى .
- أم داود : على فكرة يا بنتى لعلك غلطت اليوم . خذى .. كثر الله خيرك .
- زينب : ما هذا ؟
- أم داود : الكيس الذى بعثته مع حافظ .
- زينب : كلا يا أم داود ما غلطت . هذا من أجل الشهر القادم .
- أم داود : ولماذا التقديم ؟
- زينب : ربما يعنُّ لى سفر مفاجئ .
- أم داود : إلى أين يا بنتى ؟
- زينب : إلى مكان قريب !
- أم داود : سر من الأسرار ؟

- زينب : نعم . نعم .
- أم داود : ربنا يستر عليك كما سترت علينا يا بنتي . بجاه النبي .
(تنهض لتصرف) ويعوضك بابن الحلال والذرية
الصالحة . (تشيعها زينب وأم زينب حتى الباب) .
- أم زينب : يا بنتي كل أصدقائك يخافون عليك وأنت لا تخافين على
نفسك .
- زينب : يا أماه إنهم سيؤذونك أنت إن هربت .
- أم زينب : لا بأس يا زينب ، سأتحمل أذاهم قليلا في سبيل
نجاتك .
- زينب : كلا يا أماه . كفى ما أصابك بسببي من قبل .
- أم زينب : ما أصابني يا زينب إلا ما أصابك .
- زينب : أنا كنت سبب القطيعة بين أبي وبينك .
- أم زينب : لا والله لست أنت السبب .
- زينب : هو يقول ذلك .
- أم زينب : هو كاذب .
- زينب : ما السبب إذن ؟
- أم زينب : ما كنت أريد أن أفشي هذا السر لأحد .. لكن .
- زينب : اكتميه إذن . لا أريد أن أسمعه .
- أم زينب : بل يجب أن تسمعيه ليسترخ بالك . إنه تغير يا زينب منذ
جاء الفرنسيون فعلموه السكر والعريضة ، فلم أطلق أن
أعيش معه .

- زينب : لا حول ولا قوة إلا بالله .
- أم زينب : صه . هذا يحيى الدين قد أقبل .
- (يدخل يحيى الدين)
- أم زينب : الحمد لله على سلامتك يا ابني .
- زينب : قابلت الجنرال هتشنسون ؟
- يحيى الدين : نعم جئت فورا من عنده من الجيزة .
- زينب : فماذا وجدت عنده ؟
- يحيى الدين : تلقاني باحترام ، ثم شكالى من غدر الأتراك واغتيالهم لكثير من جنوده بالليل .
- زينب : عظيم .. ثم ماذا ؟
- يحيى الدين : ثم سألتني عن رأيي في الممالك ، فأخذت أمدحهم وأثنى عليهم .
- زينب : لماذا فعلت ذلك ؟
- يحيى الدين : لأنى لمحت عند دخولى إليه شخصا كأنه عثمان الطنبورجى ، فوقع فى ظنى أنهم مجتمعون عنده ليستمعوا إلى ما أقول . ولكننى اكتشفت أن ظنى غير صحيح ، إذ أجابنى بأنه لا يستطيع أن يعتمد على الممالك لأنهم لا يقلون غدرا عن الأتراك .
- زينب : ثم ماذا ؟
- يحيى الدين : ثم تحدثت عن جيش الشعب ، فإذا هو يعرف عنه وعن مؤسسة الشيخ الجوسقى وعنك وعن كل شيء .

زينب : قاتله الله من أين عرف ؟
محيى الدين : لا أدري .. قلت فى نفسى الآن يقبض علىّ للاغتيالات
التي قام بها جماعتنا ، لكنه مضى فى حديثه وجعل يعرض
علىّ أمرا فى غاية العجب .

زينب : ما هو يا ترى ؟
محيى الدين : الجلم الذى كان يراودك .
زينب : أفصح .

محيى الدين : أن نعاونه ويعاوننا على ما فيه صلاح البلاد وتحريرها من
حكم الأتراك والمماليك ، وإقامة دولة عربية كبرى
تشمل بلاد العرب كلها وتكون عاصمتها القاهرة
وأكون أنا سلطانا لها وأنت سلطانة .

أم زينب : الحمد لله جاء الفرج .
زينب : انتظرى يا أماه . فماذا قلت له ؟
محيى الدين : ارتبكت من هول المفاجأة أول الأمر ، ثم تماسكت قليلا
فقلت له لو كان الأمر بيدى لقبلت فى الحال . قال أتريد
أن تستشير ابنة عمك ؟ قلت نعم . فندمت على نعم
هذه ووددت لو وجدت إلى ردها سبيلا .

زينب : فيم ؟
محيى الدين : ما كان ينبغى أن أدله عليك .
زينب : كلا لا تندم ، فأغلب الظن أن الذى زوده بهذه الأخبار لم
يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أخبره بها .

- محيى الدين : ثم سألتني عن عنوانك فأعطيته عنوان أبيك .
زينب : هذه هي الغلطة .
محيى الدين : تظنين أنه سألتني وهو يعرف ؟
زينب : نعم ليختبر صدقك من كذبك .
محيى الدين : سامحيني يا زينب فقد كنت أستتير برأيك في مثل هذه المواقف .
زينب : لا عليك يا ابن عمي . استعد الآن للهرب .
محيى الدين : وأنت ؟
زينب : أنا سأبقى .
محيى الدين : كلا لن أتركك وحدك .
زينب : يا ابن عمي قد شاء الله ألا يتحقق هدفنا اليوم ، فعليك أن تنجو بنفسك لعلك تستطيع أن تحمل الشعلة إلى الغد . أنت الأمل يا محيي الدين فلا تدعني أموت يائسة قانطة . دعني ألقى الله وأنت حي طليق فألقى الله وأنا ممتلئة أملا بأن أهدافنا ستتحقق ذات يوم .
أم زينب : عجبا لم لا تقبلان هذا العرض ؟
زينب : إنه عرض مسموم يا أماه .
أم زينب : أنفضلان الموت على أن تعيشا سلطانا وسلطانة ؟
زينب : إنما يريد أن يسخرنا ليسيطر بنا على البلاد ، ثم يركلنا بعد ذلك .
أم زينب : أما كنتما تترجيان الفرنسيين أن يقبلوا تأييد جيش

الشعب ؟

زينب : هؤلاء شيء آخر يا أماه .

أم زينب : أخطر من الفرنسيين ؟

زينب : أخطر وأخبث . إنهم يجمعون بين أطماع الاستعماريين

وأحقاد الصليبيين ولهم أسطول غالب على البحر كله ،

فإذا وقعت بلادنا في قبضتهم صعب علينا الخلاص .

أم زينب : لكن الأتراك سيرجعون إلى حكمنا والمماليك .

زينب : أهون من أن يحكمنا هؤلاء الشياطين . إن حكم الأتراك

والمماليك لن يكون في قسوته الأولى ، فقد استنار

الشعب كثيرا من هذه التجارب القاسية التي مرت عليه

في هذه السنوات الثلاث ونحن قد عجمنا عودهم فقي

وسعنا أن نواصل كفاحنا في عهدهم حتى يتحقق

ما نريد .

محيى الدين : أنت أقدر مني يا زينب على قيادة الحركة ، فلم لا تهربين

أنت مكاني وأبقى أنا مكانك ؟

زينب : كلا يا محيى الدين ، ليس للمرأة حرية الرجل في التخفى

والتنكر والتقلب في البلاد والتعرض لما لا يليق .

محيى الدين : إذن فبالله عليك إلا ما افترقنا اليوم ونحن زوجان أمام الله

وأمام الناس .

زينب : يا ابن عمي ماذا يفيدنا ذلك ؟

محيى الدين : أمنية قديمة تحققينها لقلبي قبل أن نفترق .

أم زينب : طاورعيه يا بنتي فقد بذل الكثير من أجلك ، وهذا شيء
إن لم ينفعلك فإنه لن يضرك .

زينب : كما تشاء يا ابن عمي .

(يخرج محيى الدين منطلقا ثم يعود بثلاثة من أصحابه
أحدهم شيخ معمم فتسحب أم زينب) .

محيى الدين : أسرع يا مولانا الشيخ قبل أن يحال بيننا وبين ما نريد .
(يعقد الشيخ الزواج بينهما في عجلة دون تطويل ثم
يشهد الرجلين على ذلك ، وتدخل الجارية بأكواب
الشراب فتدور بها على الحاضرين ثم ينصرف الثلاثة
صامتين) .

زينب : هيا يا محيى الدين ودعنا فإن قلبى يحدثنى أنهم آتون
الساعة للقبض عليك .

محيى الدين : يا زينب دعينى أنعم قليلا بهذه اللحظات الحلوة التى
أقضيها معك .

زينب : لا تدعهم يحيلوها إلى لحظات حزن وعذاب . هلم يا ابن
عمي (تفتح ذراعيها له)

(يلتقيان في عناق طويل والدموع تنساب من عيونهما
وهما صامتان) .

زينب : (ترحل عندها برفق) حسبك يا حبيبي . انطلق
الآن . انج بنفسك وانج بمصر .

محيى الدين : إلى اللقاء يا زينب .

- زينب : إلى الملتقى يا محيى الدين .
- (يخرج محيى الدين)
- أم زينب : مسكين . لقد ظلمته يا زينب وقسوت عليه .
- زينب : أنت التى أشرت علينا بالزواج .
- أم زينب : لست أعنى اليوم . أعنى فيما مضى .
- زينب : ما مضى فات يا أماه .
- أم زينب : أنت التى ضيعته يا زينب .
- زينب : كل ما فى الدنيا ضائع يا أماه إلا العمل الطيب .
- (تسمع جلبة فى الخارج ثم يقرع الباب قرعا شديدا)
- أم زينب : (مرتاعة) يا إلهى ما هذا ؟
- زينب : من ؟
- صوت : افتحوا للجنرال هتشنسون .
- أم زينب : هتشنسون . ماذا جاء به ؟ يا عيني عليك يا مصر .
- صرت وكالة بغير بواب . يوما يدخلك الفرنسيين
ويوما الإنجليز . وقبل ذلك جنس الأتراك والمماليك .
- زينب : الحمد لله إذ نجى محيى الدين . ادخل أنت يا أماه . افتحى
له يا لطيفة .
- أم زينب : أتقابلينه وحدك ؟
- زينب : لم لا ؟ لن يأكلنى .
- أم زينب : يا رب اجعل العواقب سليمة . (تنسحب)
- (يدخل هتشنسون يرافقه ضابط إنجليزى)

- المرافق : هذا بيت السيدة زينب البكرى ؟
زينب : هذا بيت والدتي أما بيت والدي ففي حي الأرمينية .
هتشنسون : أنت السيدة زينب ؟
زينب : نعم .
هتشنسون : تشرفنا . أنا الجنرال هتشنسون قائد القوات الإنجليزية .
زينب : تشرفنا . ماذا تريد ؟
هتشنسون : كان السيد محيي الدين عندي وجرى بيني وبينه كلام ،
وقال إنه سيستشيرك أنت فأين هو ؟
زينب : كان هنا وخرج .
هتشنسون : أين ذهب ؟
زينب : لعله ذهب يحمل الرد إليك ، فلماذا لم تنتظره هناك ؟
هتشنسون : أردت أن أراك أنت أيضا ، فقد علمت أنك ذات شأن .
زينب : فهأنذا قد رأيتني الآن .
هتشنسون : أريد أن أعرف رأيك فيما عرضته على محيي الدين .
زينب : استشارني محيي الدين فأشرت عليه بالرفض .
هتشنسون : لماذا ؟
زينب : لأنه ليس في مصلحة بلادنا .
هتشنسون : أليس هذا ما كنتم تطلبونه من بونايرت ثم كليبر ثم مينو ثم بليار ؟
زينب : لكننا لم نطلبه منكم .

- هتشنسون : اطلبوه منا إن شئتم .
زينب :- ولن نطلبه .
هتشنسون : لماذا ؟
زينب : لأننا لا نعتزف بوجودكم فقد دخلتم البلاد لمعاونة
العثمانيين في زعمكم ، فليأت العثمانيون ليفاوضونا إن
شاعوا .
هتشنسون : إن العثمانيين سيأتون ومعهم الممالك وجمهير الشعب
ليقتلوك لا ليولوك سلطنة .
زينب : لأن يقتلني هؤلاء أكرم لي وأشرف من أن تجلسوني أنتم
على العرش .
هتشنسون : مرة أخرى أعرض عليك الجاه والعرش ، فهل تقبلين ؟
زينب : لا لا لا .
هتشنسون : سوف تندمين .
زينب : لا أندم على واجب أقوم به .
هتشنسون : إن الشعب غاضب عليك ، وأنا سأحملك من غضبته .
زينب : لا شأن لك بي . إني أحب هذا الشعب راضيا وغاضبا .
ولئن غضب على اليوم ليرضين عني غدا ، يوم يعرف
نفسه ويعرف طريقه فيعرف عدوه ويعرف صديقه .
هتشنسون : سوف ترين (يخرج غاضبا هو ومرافقه) .
(تدخل أم زينب)
أم زينب : زينب . يظهر أنهم سيسلطون الغوغاء عليك .

- زينب : حسبى الله ونعم الوكيل . دعينى أتوضأ يا أماء .
- أم زينب : ما حان وقت الصلاة بعد .
- زينب : لا بأس أن أتطهر من الآن (تخرج) .
- أم زينب : (فى اضطراب) انظرى يا لطيفة هل على الباب أحد ؟
- لطيفة : سمعا يا ستى (تخرج ثم تعود) لا يا ستى .. لا أحد على الباب .
- أم زينب : الحمد لله .
- (تعود زينب وعلى وجهها آثار الوضوء وقد ارتدت القميص الأبيض الذى تلبسه المرأة للصلاة وعلى رأسها الطرحة البيضاء) .
- زينب : ما بالك يا أمى تنظرين إلیّ ؟
- أم زينب : كان ينبغى اليوم يا بنتى أن أراك فى ثوب الفرح .
- زينب : هذا ثوب فرحى يا أماء ، هذا أفضل وأجمل .
- أم زينب : دعينا من هذا يا بنتى .. دعينا فى المهم .
- زينب : وما المهم ؟
- أم زينب : أن تهربى الآن قبل أن تجيء الغوغاء .
- زينب : إلى أين يا أماء ؟
- أم زينب : إلى أى مكان . إلى بيت الجوسقى مثلا عند أم داود .
- زينب : أتظنين هذا الإنجليزى يترك بيتنا دون أن يحيطه برجاله ؟
- أم زينب : كلا لا أحد حول البيت . قد أمرت لطيفة أن تنظر فلم تجد أى مخلوق .

- زينب : لا بد أنهم موجودون وإن لم ترهم لطيفة .
- أم زينب : قلت لك لا أحد .
- زينب : اتركيني يا أمي بكرامتي في البيت خيرا لي .
- أم زينب : يا بنتي لا تفجعيني فيك . ليس لي غيرك . اسمعي كلامي . اهربي الآن . خذي ملائقي عليك والبرقع (تناولها الملاءة والبرقع) .
- زينب : تعالى يا لطيفة . (تلبسها الملاءة والبرقع) .
- أم زينب : ماذا تصنعين ؟
- زينب : اخرجي يا لطيفة وامشي حتى راس الشارع فإن لم يتعرض لك أحد فعودي إلينا لألبس أنا الملاءة وأهرب .
- لطيفة : وإن تعرض لي أحد يا ستي ؟
- زينب : فاكشفي له وجهك وقولي أنا الجارية ، ثم عودي إلينا كذلك .
- أم زينب : بوركنت يا بنتي . هذه حيلة حسنة .
- (تخرج لطيفة بالملاءة والبرقع)
- لطيفة : (يسمع صوتها صائحا) دعوني يا أبالسة . ماذا تريدون ؟ انظروا إلى وجهي . أنا الجارية .
- زينب : سمعت يا أماء ؟
- أم زينب : لا حول ولا قوة إلا بالله .
- لطيفة : (تدخل) كلاب . برزوا لي من الأركان وأحاطوا بي مثل الغيلان .

- زينب : رضيت عنى الآن ؟
- أم زينب : (تبكى) أنا دائماً راضية عنك يا زينب وأدعو لك من قلبى ، ولكن الله لا يستجيب لدعائى .
- زينب : (تواسيها) لا لا يا أماه هذا قول لا يصح أن تقوليه . إنه تبارك وتعالى يقول ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .
- (تسمع جلبة فى الخارج فترتاع أم زينب ولطيفة)
- (ثم يقرع الباب قرعاً شديداً فتفتح لطيفة وإذا جمع من الناس يقتحمون البيت حتى امتلأ بهم الفناء ، يتقدمهم الضابط المرافق لهتشنسون فى رجاله ، ونصوح باشا فى حاشيته ، وعثمان الطنبورجى فى نفر من المماليك ، والشيخ خليل البكرى فى عدد من الشيوخ ، والبقية من عامة الشعب وبينهم السيد حسن كريت متنكراً مع نفر من أصحابه) .
- (تنسحب زينب وأم زينب ولطيفة إلى الداخل) .
- الطنبورجى : (يهمس له الضابط الإنجليزى) يا سيد خليل البكرى . أين ابتلك المهمة ؟ ألا تحضرها لنحاكمها ؟
- خليل : (ينهض خجلاً) سأدخل وأدعوها لكم .
- (يخرج من باب الرواق)
- نصوح : حذار يا جماعة لا يسريها أبوها من باب خلفى .

- الضابط : لا تخف يا نصوح باشا . إن رجالى يحيطون بالبیت من كل جانب .
- خليل : (يعود) انتظروا قليلا يا سادة . إنها تصلى .
- أصوات : تصلى ؟ (ضحك) .
- خليل : أتظنون أنها لا تعرف الصلاة ؟
- أصوات : تصلى لمن يا ترى ؟ للفرنسيين ؟ لمن فيهم يا ترى ؟
- خليل : سأمحكم الله . تصلى لله ربها وربكم .
- أصوات : يدافع عنها . هو كان السبب .
- أصوات : كان يدارى عليها من قبل واليوم يحامى عنها .
- أصوات : أجل كان الواجب أن تحاكموه هو قبل أن تحاكموا ابنته .
- أصوات : هو الذى كان يحب الفرنسيين وييجلهم ويهدى إليهم الهدايا ويأكل عندهم .
- أصوات : ويأكلون عنده .
- أصوات : وكانوا يعاملونه معاملة خاصة . أعفوه من الفردة ولم يأخذوا شيئا من أمواله .
- أصوات : وولوه المناصب الرفيعة . جعلوه نقيب الأشراف . وعضوا فى الديوان .
- الطنبورجى : (يهمس له مرافق هتشنسون) كفى يا قوم . نحن ماجئنا لنحاكم الشيخ خليل البكرى . فقد تاب وأناب .

نصوح : تاب وأتاب . لو جاء الفرنسيات مرة أخرى لانضم إليهم .

الطنبورجى : يكفى عقوبة له أن الناس نهوا اليوم بيوتهم وأموالهم .

نصوح : يجب أن ينال كل خائن جزاءه .

الطنبورجى : يا نصوح باشا يجب أن نحافظ على النظام . نحن جئنا هنا اليوم لنحاكم زينب .

نصوح : وأين هى زينب ؟

خليل : قلت لكم .. تصلى .

نصوح : إلى متى تصلى ؟

صوت : لعلها تصلى التراويح . (ضحك) .

نصوح : هل دخل شهر رمضان ؟

(يتعالى الضحك من نصوح باشا)

الطنبورجى : (فى سخرية وشماتة) ألا تعرف يا نصوح باشا دخل

شهر رمضان أم لا ؟ (ضحك) .

نصوح : أنا ما سمعت مدافع البارحة . (ينفجرون ضحكا) هل

بطلتم المدافع ؟

الضابط : (يصيح غاضبا) نظام . نظام .

نصوح : أين زينب ؟ حتى التراويح لا تستغرق هذه المدة .

الطنبورجى : الباشا لا يزال يظننا فى شهر رمضان .

(يتعالى الضحك) .

صوت : ويظن التراويح بالنهار . مُنَح تركى صحيح .

- نصوح : (غاضبا يطلعت في كل اتجاه) من الذى قال ؟
 أصوات : قال ماذا ؟
 نصوح : قال : غ تركى صحيح .
 أصوات : أنت يا باشا قلت ذلك .
 نصوح : أوه ليس الآن .. قبل ذلك .
 أصوات : قبل ذلك ؟
 نصوح : أوه . أغبياء ! (يتعالى الضحك) لماذا تضحكون ؟
 أصوات : على الأغبياء يا باشا على الأغبياء .
 نصوح : ظننت .
 أصوات : لا .. لا تظن يا باشا . معاذ الله . (يستمر الضحك) .
 الضابط : (يصيح مرة أخرى) نظام . نظام . نظام .
 (تدخل زينب كما كانت بقميص الصلاة فيسكت الجميع مبهورين بما يفيض به وجهها من جمال وقداسة) .
 زينب : اجلس يا أبى فى مكانك . (يعود خليل إلى مكانه) .
 (تردد طرفها فى الحاضرين حتى يستقر بصرها على الضابط) ماذا تريد منى أيها الضابط الإنجليزى ؟
 الضابط : أنا ؟ أنا لا أريد شيئا .
 زينب : فلماذا جمعت هؤلاء الناس وجئت بهم إلى بيت أمى ؟
 الضابط : أنا .. أنا ما جمعتهم .
 زينب : صاحبك الجنرال هتشنسون هو الذى جمعهم ؟

الضابط : الجنرال هتشنسون ؟ لا . هم الذين اجتمعوا من تلقاء أنفسهم .

زينب : أنت كنت معه اليوم عندى حين عرض على أن يجعلنى سلطانة إذا قِيلْتُ أن أتعاون معه على طرد الأتراك والمماليك ؟

الضابط : كلا . هذا لم يحدث (يستنجد بالطنبورجى) .

زينب : ألا تستحى وأنت برتبة قائد أن تكذب أمام الناس ؟
الطنبورجى : أنت التى تكذبين . منذا يصدق هذا الكلام ؟ سلطانة ؟ مرة واحدة !

نصوح : هذا كلام مجانين .

الطنبورجى : هى ليست مجنونة ولكن تتظاهر بالجنون لتتخلص من العقاب .

أم زينب : (تدخل متبرقة) كلا أنا كنت موجودة . حقا هذا الهتشنسون عرض عليها وعلى ابن عمها العرش . ولكنها رفضت .

لطيفة : (تدخل) والله العظيم هذا حق . أعدم نظرى وسعى إن كذبت عليكم . وكان فى صحبته ذاك الرجل القاعد هناك الذى وجهه مثل القوطة .

الطنبورجى : من هذه العجوز ؟ أليست أم زينب ؟ ومن هذه الفتاة ؟ أليست جاريتها ؟ لا شك أنهما كذبتا لصالحها .

الضابط : (لزينب) ما كنت أعلم أنها خطيرة إلى هذا الحد . لقد أرادت

أن توقع بيننا نحن الإنجليز وبين حلفائنا الأتراك
والمماليك .

نصوح : ولحساب من ؟ لحساب فرنساوية .

زينب : لعنة الله على الكاذبين . إن الضعيف يلجأ عادة إلى
الكذب ليستر به ضعفه ، أما القوى إذا كان كذاباً فماذا
تصنع فيه ؟

لي حيلة في ظالمية ————— من الصدق عندهم فضيلة
فإذا استحالوا كاذبين ————— من فحيلتى فيهم قليلة
نصوح : هذه تشتمنا بالشعر .

الطنبورجى : بل تحاول بكلامها الفارغ هذا أن تلهينا عن الجرائم التى
ارتكبتها .

زينب : الجرائم ؟

الطنبورجى : والخيانة العظمى .

نصوح : الخيانة العظمى ! يا عثمان بك ، الكلام فى هذا لى أنا ؟

الطنبورجى : نعم نعم . تكلم أنت .

زينب : ما شاء الله ! وزعتم بينكم الأدوار !

نصوح : يا زينب هانم حضرتك متهمة بالخيانة العظمى وعقوبتها
قطع الرأس .

زينب : يا نصوح باشا أنت المتهم بالخيانة العظمى وعقوبتها
الشنق .

نصوح : (غاضباً) أدبسيس خرسيس .

زينب : تكلم بالعربي ليفهمك الحاضرون .
نصوح : قليلة الأدب . قليلة الحياء .
زينب : لا تغضب . أقم الدليل على دعواك وأنا سأقيم الدليل على
دعواى .

نصوح : حاضر يا أفندم . أنت كنت مع الأعداء الفرنسيين يوم
ثار أهل القاهرة عليهم في عهد الطاغية كليبر .

زينب : أجل كنت معهم ذلك اليوم المشؤوم لكى أنقذ أهل
القاهرة وأهل مصر جميعا من تلك المكيدة العظمى التى
دبرتها أنت بالاتفاق مع الأعداء الإنجليز والخنونة
المماليك ، لتحولوا دون جلاء الفرنسيين عن بلادنا
طبقا لمعاهدة العريش .

نصوح : هذا كلام مجانين . كيف يعقل أن نقاتل الفرنسيين
ولا نريد جلاءهم ؟

زينب : أجل لم يكن ذلك فى مصلحة الدولة العثمانية ولا فى
مصلحتنا نحن المصريين ولكن فى مصلحة هؤلاء
الإنجليز ، ليقتل الفرنسيون والأتراك فتضعف قوة
الفريقين . ثم نقتل نحن والفرنسيون فينتقم الفرنسيون
منا ذلك الانتقام الفظيع .

الضابط : وما مصلحتنا نحن الإنجليز فى ذلك ؟

زينب : مصلحتكم واضحة ، فقد حضرتم اليوم فى الظاهر
لمعاونة العثمانيين على طرد الفرنسيين من بلادنا ، أما فى

الباطن فلاحتيال بلادنا مكان الفرنسيين .

الضابط

: هذا كذب . هذا افتراء .

زينب : هون عليك فلا أحد يتهمك أنت ولا صاحبك

هتشنسون بالخيانة ، فأنتم مخلصان لدولتكما إنجلترا .

ولكنى أتهم نصوح باشا هذا الذى خان دولته وخان

الإسلام والمسلمين وباعنا جميعا للإنجليز .

نصوح

: (يتميز غيظا ويشد شعر رأسه ويتمم بكلام مبهم) ..

الطنبورجى

: دع الكلام لى الآن . عندى شهود يا زينب يشهدون

أنهم رأوك ذلك اليوم تحملين البندقية وتطلقين النار على

قومك المسلمين فى نصره الفرنسيين ومن دار قيادتهم

العامة .

زينب

: أجل كنت أحمل البندقية وأطلق النار على الدجالين

النصايين الكذابين من الأتراك والمماليك ، الذين غرروا

بأهل القاهرة وكذبوا عليهم فدفعوهم إلى الهلاك والدمار

والخراب ، ثم تخلوا عنهم فى النهاية واتفقوا مع الفرنسيين

وقدموا لهم الخطب فى السفن لإحراق القاهرة

وبولاق . أتدرون يا معشر المسلمين من الذى قدم لهم

الخطب ؟

أصوات

: من ؟

زينب : عثمان بك الطنبورجى هذا ، وسيد الطاغية مراد بك

الذى أخذ الله بالطاعون فأراح البلاد والعباد منه .

- صوت : إذن فعثان بك الطنبورجى هذا قد ارتكب الخيانة
العظمى فيجب أن يلقي جزاءه .
- أصوات : أجل أجل . ونصوح باشا أيضا .
(يضطرب المجلس وتسرى فيه المهمة)
- الضابط : نظام . نظام .
- الطنبورجى : (لصاحب الصوت الأول) من تكون ؟
- الرجل : رجل من المسلمين .
- الطنبورجى : ما اسمك ؟
- الرجل : حسن كريت نقيب الأشراف برشيد .
- الطنبورجى : ما الذى جاء بك هنا ؟
- كريت : جئت أشهد المحاكمة .
- الطنبورجى : اخرج أنت وأصحابك .
- كريت : كلا لن نخرج .
- الأصحاب : لماذا تخرجنا من دون الآخرين ؟
- الطنبورجى : أنتم جئتم بغير دعوة .
- الأصحاب : والآخرون كانوا مدعوين ؟
- الضابط : (ينادى) عبد العال أغا !
- صوت : نعم .
- الطنبورجى : اخرج هؤلاء من هنا .
- زينب : يا سيد حسن كريت يا نقيب الأشراف برشيد بوركت
وبورك أصحابك . إن كان لى عندكم خاطر فاخرجوا

الآن بسلام فإن هؤلاء الطغاة لا يعجزهم شيء ، وكفى
ما فضحتموهم وكشفتهم عن تدبيرهم والله غالب على
أمره وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .
(يخرج حسن كريت وأصحابه وخلفهم عبد العال
أغا وزبانيته) .

(يتهامس الضابط والطنبورجى ونصوح باشا)
الطنبورجى : ما قولك الآن يا زينب فيما يعلمه العامة والخاصة من
انتهاكك لحرمة الدين .

زينب : معاذ الله إني مسلمة صادقة الإيمان أتمسك بدينى وأقوم
بفرائضه ، فكيف أنتهك حرمة ؟

الطنبورجى : وتبرجك وخلاعتك ؟

زينب : كلا والله ما كنت يوما خليعة ولا متبرجة .

الطنبورجى : ووجهك هذا الذى تبيحينه للناظرين ؟

زينب : إن كنتم تتخرجون من النظر فيه فغضوا أبصاركم .

الطنبورجى : بل عليك أن تستريه .

زينب : ليس وجهى عورة فأستره .

الطنبورجى : بل كل شيء فى المرأة عورة .

زينب : هذا الفهم السيئ لمركز المرأة فى الإسلام هو أحد
أسباب تخلف المسلمين وذهاب أمرهم وغلبة الأعداء
عليهم .

الطنبورجى : أتريدى أن تأتى بدين جديد ؟

زينب : كلا هذا هو الإسلام الصحيح قبل تراكم الجبهالات
والخرافات عليه .

الطنبورجى : أولم ينه الإسلام عن التبرج ؟

زينب : عن التبرج لا عن السفور وفرق بين الاثنين . وقد
اشترك فى معركة القادسية وحدها ألوف من النساء
المسلمات . فبالله كيف يشتركن فيها وهن محجبات ؟
وكان اشتراكهن فى هذه المعركة من أكبر أسباب انتصار
المسلمين على الفرس الذين كانوا يحجبون نساءهم ،
فلم تشترك فى المعركة فارسية واحدة .

الطنبورجى : من أين جئت بهذا الكلام ؟

زينب : انظر تاريخ الطبرى إن شئت .

الطنبورجى : ومن الطبرى هذا ؟ لم أسمع به .

زينب : يجب أن تعرفه قبل أن تتصدى لمناقشتى فيما تجهل .

الطنبورجى : واختلاطك بالفرنسيين ؟ هذا أيضا فى الطبرى ؟

زينب : كانت مخالطتى لهم بحكم زواجى من قائدهم بونايرت .

الطنبورجى : أتريد أن تفهمينا أن بونايرت تزوجك ؟

زينب : تلك هى الحقيقة .

الطنبورجى : الناس كلها تقول إنك كنت عشيقته .

زينب : يغفر الله لهم . معذورون . لأن الزواج كان سرايا

ولم يعلن .

الطنبورجى : ولماذا لم يعلن ؟

زينب : كان قد وعدنا أن يحتفل بالزواج ويعلنه عند عودته من حملة الشام ، فلما عاد مهزوما قرر الرحيل إلى أوربا فنكل عن وعده في إعلان الزواج خشية أن تعلم به زوجته هناك .

الطنبورجى : وتم الزواج بغير مأذون ولا شهود ؟

زينب : بلى كان الشيخ محمد المهدى هو الذى عقد لنا الزواج ، وكان الشيخ الفيومى والشيخ الشرقاوى الشاهدين .
(يتهامس الطنبورجى والضابط)

الطنبورجى : عندنا شهود يشهدون بأنك كنت تراقصين فرنسيين آخرين غير بونابرت فى ملهى التيفولى وتشربين معهم الخمر .

زينب : (تتحادر دموعها ولا تجيب) ... ؟

الطنبورجى : لماذا سكّ ؟ أتعطيعين أن تنكرى ذلك ؟ هل نحضر لك الشهود ؟

أم زينب : اشرحى لهم الحقيقة يا بنتى . دعيم يعلموا كل شىء .
الطنبورجى : اسكتى أنت .

أم زينب : أسكت وأنتم تريدون أن تدينوا ابنتى بكل سبيل ؟
زينب : أجل وقع منى هذا الذى تذكرون لأحبا فى الخمر ولا فى المراقصة يعلم الله ، ولكن تحديا لبونابرت إذ أخلف وعده بإعلان الزواج . وكان يغار من ابن زوجته الشاب بوهارنيه فجعلت أراقص هذا الشاب وأشرب

معه على رؤوس الأشهاد في الملهى لأثير غيظ بونايرت
وأسحق كبرياءه .

الطنبورجى : ما شاء الله ما شاء الله ! كأن غضبك على بونايرت قد
أباح لك شرب الخمر ومراقبة الرجال في ذلك الملهى
الذى يعج بالفسوق والفجور ؟

زينب : أعترف أنها كانت نزوة طائشة منى ولم تدم غير بضع
ليال ، ثم أدركت أننى أردت أن أحطمه فحطمت نفسى
فأقلعت عن ذلك وتبت إلى الله وندمت على ما كان
منى ، وما زلت نادمة حتى اليوم .

الطنبورجى : كيف نصدق توبتك وأنت إلى اليوم مقيمة على سفورك
وخروجك على تقاليد قومك ؟

زينب : أنا تبت إلى الله مما أعده معصية ، ولكن لا أتوب إليه مما
لا أرى فيه بأسا بل أرى فيه مرضاة الله سبحانه .

الطنبورجى : اسمعوا يا قوم ! إنها ترى في ذلك مرضاة الله .

زينب : أجل إن الله لا يرضى لنساء المسلمين أن يكن إماء
لا كرامة لهن ولا مكانة .

الطنبورجى : كأنك تريد أن تحذو نساء المسلمين حذوك ؟

زينب : يا ليت إذن لكان للمسلمين اليوم شأن آخر .

الطنبورجى : أتسمعون ؟ إنها تريد أن تنشر الفساد في نسائكم
وبنائتكم .

زينب : بل أريد أن أحررهن من ذل الحجاب ومهانة الحریم ،

- ففى ذلك صلاحهن وفى صلاحهن صلاحكم أنتم .
 نصوح : هذا يكفى لقطع رقبتها فماذا تنتظرون ؟ هذه كافرة .
 أصوات : أجل أجل . اقلوها . اقطعوا رقبتها . تستحق قطع
 الرقبة .
 زينب : لست أول داع إلى الخير يقتله الجاهلون .
 أصوات : الجاهلون ؟ نحن الجاهلون ؟ اقلوها هذه الكافرة . واقلوها
 أباهها أيضا فهو الذى أساء تربيتها وأطلق لها العنان . أجل
 اقلوها أباهها فقد كان السبب .
 زينب : كلا إن أبى لا شأن له . إن أردتم أن تقتلوني فاقتلوني
 وحدى .
 الطنبورجى : ماذا تقول يا شيخ خليل .
 خليل : أنا لا شأن لى بها يا قوم .
 أصوات : إن كنت صادقاً فتبرأ منها ومن عملها .
 خليل : أنا برىء منها ومن عملها إلى يوم القيامة .
 أم زينب : يا جبان ! يا خسيس !
 خليل : اقلوها فهى التى شجعتها على الفساد .
 أصوات : أجل . اقلوها هذه العجوز .
 أم زينب : لا بأس اقلوني إن شئتم فلن يكون للحياة عندى معنى
 بعد زينب . لكن اسمعوني أولاً حتى أفصح لكم هذا
 الشيخ وأكشف لكم مخازيه .
 زينب : كلا لا تفعل يا أماء . اتركيه من أجل . لا تنسى أنه أبى .

(يتهامس الضابط والطنبورجى ونصوح باشا)

الطنبورجى : انصرفوا يا قوم فقد انتهت المحاكمة .

أصوات : نريد أن نشهد عقوبتها

الطنبورجى : هذه ليست مهمتكم . هذه مهمتنا .

(يخرج عامة الناس ولا يبقى غير الثلاثة وحاشيتهم)

(يقترب الضابط من زينب ويسر إليها كلاما)

زينب : (تفاجئه بلطمة على خده) خذ هذه لك .

الضابط : (محتجا) أيتها الـ .

زينب : (تعاجله بلطمة على الخد الآخر) وهذه لهتشنسون .

(يلمس كل من الطنبورجى ونصوح خده كأنه

يتحسس أثر اللطمة فيه) .

الضابط : (يصيح) عبد العال أغا .. خذها واقطع رقبتها .

زينب : (يسوقها عبد العال أغا وزبانيتها نحو داخل البيت)

يا رب أنقذ الكنانة وادفع بلاءها وارفع لواءها وأصلح

رجالها وارحم نساءها . واجعل لها جيشا من بنيتها يعزها

ويحميها . يا رب أنت العليم وأنت الخبير .

وأنت المولى وأنت النصير .

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) اخناتون ونفرتيتي	(٢) سلامة القس	(٣) والإسلاماء
(٤) قصر الهودج	(٥) الفرعون الموعود	(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس	(٨) روميو وجولييت	(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر	(١١) السلسلة والغفران	(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم	(١٤) أبو دلالة	(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة	(١٧) مأساة أوديب	(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع	(٢٠) شعب الله المختار	(٢١) إمبراطورية في المتزاد
(٢٢) الدنيا فوضى	(٢٣) اوزوريس	(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران	(٢٦) إله إسرائيل	(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) التوراة الضائعة	(٢٩) جلفدان هانم	(٣٠) في ذكرى محمد ﷺ
(٣١) من فوق سبع سموات	(٣٢) الشيماء	(٣٣) إبراهيم باشا

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق	(٢) معركة الجسر	(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك	(٥) تراب من أرض فارس	(٦) رسم
(٧) أبطال القادسية	(٨) مقاليد بيت المقدس	(٩) صلاة في الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل	(١١) عمر ونخالد	(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة	(١٤) حديث الهرمزان	(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية	(١٧) فتح الفتوح	(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس		

كلمة الناشر

وفاء لذكرى متعدد المواهب ، الروائى ، المسرحى ، الشاعر ، الأديب ، الفنان على أحمد باكثير ..

وحفاظا على تراثه الغزير ذى القيمة من الاندثار والضيايع ..
وخدمة للمكتبة العربية التى أثراها — أنفا — بفيض من تآليفه الرائعة فى مختلف فنون الأدب : الشعر ، والرواية ، والقصة ، والمسرحية ، والمسرحية الغنائية .
رأت « مكتبة مصر — سعيد جودة السحار وشركاه » التى كان لها شرف تقديم جل إنتاجه للقراء ابتداء من سنة ١٩٤٣ ، فامتعت به أبناء الجيل الماضى .

أن تعيد طبع أعماله جميعا ونشرها فى ثوب جديد ، وفى قطع موحد ، حتى يتيح الفرصة لأبناء هذا الجيل والأجيال القادمة للتمتع — كذلك — بإنتاجه البارع الرفيع .
وتعتقد « مكتبة مصر » أن الأستاذ الراحل على أحمد باكثير ، برغم ما بلغه من مكانة مرموقة بين أدباء العربية ، لم ينل بعد كل ما يستحقه من التقدير الذى يؤهله لأن يكون فى القمة بين جميع الكتاب المعاصرين .

ذلك لأنه — وصديقه الراحل عبد الحميد جودة السحار — كانا هدفا لحملات ظالمة أحيانا ، وإهمال متعمد أحيانا أخرى ، من بعض من كانوا يتحكمون فى النقد فى الصحف والمجلات فى تلك الأيام ، أيام غياب الحرية ، وتحكم الماركسيين فى أقدار الكتاب ؛ فقد وجهت إلى كل منهما تهمة أنه « يؤمن بالغيبات » وأنه « غير تقدمى » ، كأثما الإيمان بالله والتمسك بالقيم الروحية يحطان من قدر الكاتب ويزربان بأدبه .

وإن هدف « مكتبة مصر » من إعادة نشر مؤلفاته ، وتقريبها من أيدي القراء ، هو أن تساعد على أن يوضع على أحمد باكثير فى المرتبة التى يستحقها بين كبار كتاب العربية ، وأن تعرف مؤلفاته الروائية والمسرحية طريقها إلى المكتبة العالمية .
وبالله التوفيق .

سعيد جودة السحار

رقم الإيداع : ٨١٨٠ / ١٩٩٠
الترقيم الدولي : 6 - 0623 - 11 - 977



الشمس ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

To: www.al-mostafa.com